

## صدى التحولات المجتمعية في الشعر التونسي بالثمانينات 1981 - 1987

بقلم : الأزهر النفطي

« إنَّ الإبداع الحقيقي هو ذلك الحلم الذي يولد في عقل الأديب والفنان والذي لا يتجه ما لا يمكن تحقيقه حالياً فحسب وإنما إلى ما نطمح إليه باستمرار من ترقى إلى الولادة في زمن التحولات »

الدكتور الثيفر الرزار  
مجلة العرب والفكر العالمي  
العدد التاسع أكتوبر 1989.

من منطلق هذا المفهوم أثرت أن تدور هذه الملاحظات حول مرحلة دقيقة من حياة مجتمعنا سادها الصمت والخوف والكبت إذ صودرت فيها الأعمال الإبداعية على مرأى ومسمع من قراء الكلمة وعشاقها عاشها حملة القلم في بلادنا في حيرة وأسئلة وتهميش وإحباط وقفنا عندها بالعودة إلى نماذج من نصوص شعرية مؤرخة بين 1981 و 1987 حملت إمضاءات تجارب شعرية مختلفة نشرها أصحابها في مجاميع شعرية تجاوزت المائة ديوان وذلك تحت طائلة عيون الرقابة وضغوط شراك المصادرة.

في هذه المرحلة الحاسمة لعب مقص الرقابة دور الخصم والحكم إذ أتى على كل نصٍّ إبداعي وقع تحت نظر الرقيب العتيد

لن أقول لمن يدعي عصمة

في الزمان الوضع ...

لماذا تروّج، ما لا يقال ...

وتسمع ما لا يصدق ...

ثمّ تراهن عن أمة لم تصنها

لماذا تعلق أوسمة للحجارة

والطوب  
ترقى بيوت لها نسب واحد  
وتدك على أهلها الباقيات ...

علي دب (ديوان تعجلت الفرح)  
قصيدة الأسئلة ص 71 / 22 / 5 / 1982

ما الذي أضرم الصوت في جسدي  
ما الذي عمّ الفجر في بلدي  
ما الذي باعد اليوم بين يدي ..  
ويدي ..

المرحوم يوسف الورغي (ديوان البحر يجامل قرصانه)  
قصيدة السؤال ص 11 جندوبة 10 / 4 / 1986

أسئلة تكشف عن حالة التمزق والخوف والإنفصام والبحث عن الذات  
وسط العتمة كما تبرز حالة الحيرة والغربة والمعاناة والتوق إلى زمن  
التحول المجتمعي بوطن أنكر العباقرة وقُتل فيه الصداح والنواح ..

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

نجوع كثيرا للحظة ودّ جديدة  
سألت لأسكت  
ليسكت هذا النشيد بكلّ صباح  
سأمضي إلى أوّل المفترق  
هناك على نعش هذا الرّحيل  
إلى أن يعود الرّحيل إليّ  
إلى أقرب خيمة فوق قلبي  
لماذا السؤال  
وأنت الجواب المفيد

عادل بوعفّة قصيدة سؤال في  
مسافات الرّحيل توزر 22 / 3 / 1987

وسط هذه العتمة من الضغوط والممارسات الرهيبة المسلطة على الكتابة الإبداعية في تلك الحقبة كتب الشعراء قصائدهم وصوروا فيها حالة السكون واليأس والتعتيم والخيبة التي آل إليها مجتمعنا في ظلّ نظام النجومية والفردية والنفوذ المطلق وداسوا بها على مواطن الشعارات الخلابة وعلى مواقع التزلّف والإنبطاح وحملوها على أكفهم نصوصا شعرية تبشّر بأقتراب ساعة الخلاص والتحوّل المرتقب وسلّموها بدورهم للصحف والمجلّات كي تنشر فصودرت وخضعت لمقص الرقابة وزج بكتابتها في غياهب السجون وحجزت الصحف والمجلّات التي نشرتها.

أحبّ البلاد كما لا يحبّ البلاد أحد      صباحا مساء وبعد الصباح ويوم الأحد  
وإن قتلونا كما قتلونا      وإن شردّونا كما شردّونا  
لعدنا غزاة لهذا البلد

(محمد الصغير أولاد أحمد نشيد الأيام الستة)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أيّها اللّيل تمهل  
ذا زمان عربي هارب من ظله  
أنهكته الرّيح هذا الوطن المحبوب  
ضدّ الرّيح يعدو  
أيّها اللّيل تمهل  
فأنا ضيّعت في العدو المراكب  
عربياً كنت  
لكن نهشت وجهي المخالب  
من سطى اللّيل على كلّ المسارب  
وأستوى المطلوب في أرضي  
يختال كطالب

البشير المشرقي مجموعة الرّياح اللواقح قصيدة  
بيانات إلى الشعراء والوطن الثاني ص 99 - 1988

## صدي التحولات المجتمعية في نصوص المرحلة 1981 - 1987

لمعانقة الكتابة الشعرية في تلك المرحلة الدقيقة من حياة مجتمعنا ومتابعة صدى ما تولّد عنها من نصوص من خلال نماذج نقتطفها من المجاميع الشعرية التي نشرت في تلك الفترة نشير في البداية إلى ثلاثة محاور أساسية تعدّ بمثابة المنطلقات المركزية لكتابة النصّ الشعري ببلادنا.

1) مرحلة فجر الإستقلال : وهي مرحلة الفرحة العارمة بالإستقلال وإعلان النظام الجمهوري ببلادنا إذ كان أثرها بالغا في مشاعر ووجدان حملة القلم وتخصّصت عنها العديد من القصائد الوطنية العصماء إذ جاءت تنمّ كلّها عن توق شعرائنا إلى زمن الحرية والكرامة والخلاص من ريقة المستعمر.

سبحانك اللهم أحكم منشي أنشأت جمهورية الخضراء

ورفعتها بيد الزعيم عليّة فوق السّمّاك وقبّه الجوزاء

ARCHIVE

(الطاهر القصّار أوت 1957)

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

للتذكير فقط شارك شعرائنا بخمس مائة وستين نشيدا وطنيا في مسابقة نظّمت لاختيار أفضل نشيد فائز وذلك بعد كتابة الأستاذ محمد العروسي المطوي لمقاله المعروف بجريدة الصباح «شعب بلا نشيد»

2) حركة الستّينات : ساهمت هذه الحركة بدورها الفعلي في تنوير الرأي العام الوطني والدّفاع الشرعي عن القضايا العادلة في مرحلة القمع والإضطهاد والحسابات الضيقة والتجارب المرتجلة وقد تميّزت هذه الحركة بالالتزام التلقائي كما اعتبرت إضافة مشروعة لحركة الطليعة بالخمسينات من شعرائها نذكر الأستاذ الميداني بن صالح الذي أجمع النقاد على الإشادة بمواقفه النضالية وأعتبروا أشعاره ركيزة من ركائز الواقعية الاشتراكية ببلادنا والشاعر منور صمادج الذي ملا الدّنيا وشغل النّاس أو ليس القائل في زمن الزجر والرّصاص ..

الباب فَبُتِّحَ الذينَ اسْتَشْهَدُوا      فلمنَ تَرى قَدْ سَلَمُوا المِفْتَاحَ

(3) مرحلة الأدب التجريبي في السبعينات : وقد تمخّضت هذه المرحلة عن تجربة لها إضافات للنص الإبداعي بمختلف أشكاله ومضامينه ممّا أهلها أن تكون عتبة البحث عن خصوصيّة النصّ التونسي بمواصفات ومكوّنات إبداعية تميّزه عن الكمّ الشعري المطروح على الساحة الثقافية العربية. فوق هذه الأرضيّة الصلبة من الحركات والتجارب الشعريّة وما تمخّض عنها من نصوص شعريّة تميّزت بآتجاهاتها وأشكالها ومضامينها كتب نص الثمانيات أين تشكّلت تجربة شعريّة ساهمت في إثراء أصوات شعريّة تنتمي إلى حركتي الستينات والسبعينات وذلك بنشر مجاميعها الشعريّة في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخنا المعاصر إضافة إلى شعراء المرحلة وقد تحوّرت نصوص هذه المرحلة حول جملة من المكوّنات الأساسيّة ميّزت حركتها بكتابة قصيدة الموقف (اعترافات حمام الشط ليوسف الورغي) وكتابة القصيدة الملحميّة (قوس الرياح أن على جناح الصوت لمنصف المزغني) كما تميّزت حركتها بثوابت أخرى ..

أ - هموم الكتابة في الثمانينات : عكست النصوص الشعريّة التي كتبت في الحقبة بين سنة 1981 و 1987 مشاغل ومشاكل المجتمع وهو يرزح تحت وطنة وضع متأزم نزل بثقله على بلادنا. قدّمت هذه النصوص الشعريّة إلى قرّائها في مضامين مشبعة بالأسئلة والكتابة بالذاكرة الشعبيّة (يمكن العودة إلى نوارة الملح سوف عبّيد، شمس العرس عزيز الوسلاتي، مذكرات خمّاس الميداني بن صالح) والتضمين والتناص والإقتباس من القرآن الكريم وآياته البيّنات وبتوظيف الشخصيات التراثية (أبو ذر الغفاري، الزبير ابن العوام، أبو الطيب المتنبي، طرفه ابن العبد، الحلاج ...) وبالإجراء الأسطوري بالرجوع إلى الأسطورة الإغريقيّة والسيرة الهلاليّة (هذه الجثة لعبد الله مالك القاسمي) والتخلّل أحياناً بمظلة المسحة الصوفيّة أنا المتصوف المتعبد في خلواتي (لعبد الله مالك القاسمي كتابات على حائط اللّيل قصيدة صلاة أولى)

معبداً يعلو عليّ

ثمّ أعلو نحو أهات الصلاة  
كلّما أغلقت بابا  
جاء نور العشق في لحن القطاة  
إن لي في عشقهم عيدا  
ينير الأمسيات

(عادل بوعفة قصيدة عيد العشق  
توزر في 15 / 2 / 1987)

على هذا الأساس كتب نص المرحلة فقامت تجربة الثمانيات على البحث  
عن كتابة نص شعري مغاير للمألوف السائد يقوم أساسا على التجاوز  
والإضافة والبحث عن البديل المشروع وهذه لعمري سنة حميدة من سنن  
الحدّاث ولبنة من لبنات بناء وصياغة النصّ الشعري المعاصر تؤسس  
لشروعياته ولحضوره في كتابة تفاعلت القارئ وتدهشه وتعكس رغبة الشاعر  
الملحة في التغيير والإصلاح في زمن بدا فيه مقص الرقابة عدوا لدودا  
للكتابة الإبداعية <http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

من شارع الزحام والنفير  
تطاوالت عيونهم  
يدفعني السائل لا أعدك  
المسيرة  
يلمحني الصديق أهلا  
قد سمعته ولم أزد

(علي دب مجموعة تعجلت الفرح  
قصيدة «قصيده» ص 89 - 1/4/1985)

ب - البحث عن هويّة النصّ الشعري التونسي بالثمانينات

## وصدى التحولات المجتمعية فيه

وسط الزحم الهائل من الكم الشعري المطروح على الساحة الثقافية طالعنا المجاميع الشعرية الصادرة بالثمانينات بكتابة تبحث عن صياغة نص شعري تونسي معاصر له خصوصيته شكلا ومضمونا يحمل هموم مجتمعنا ومشاغله وذلك كي لا تكون أصواتنا الشعرية صدى لأصوات شعرية معروفة على الساحة الثقافية العربية ..

الليمون الغارق في الصمت

النهج الصغير في الليل

كل شيء يوحى

بأن العالم أنتهى أو ينتهي في لحظة

وأكون بين أهل ماتوا عبثا

الطيبون يموتون دائما عبثا

لأنهم لا بد أن يموتوا !

في فناء الحديقة

تهوي ورقة وورقة أخرى

ورقة

وتبقى الشجرة

شجرة الليمون الخضراء دائما

(عزوز الجملي مجموعة ألعاب الجروح)

قصيدة تحول ص 21 - 10/2/1985

على هذا الأساس من الكتابة الشعرية يمكن طرح السؤال الكبير لفهم دور النص الشعري التونسي في معالجة قضايا المجتمع في مرحلة حاسمة من مراحل تاريخنا المعاصر .. هل من الضروري أن نلتزم بقضية معينة لخلق نص شعري أرقى على علاقة وثيقة بالتحولات المجتمعية التي تشهدها بلادنا، وهل ينبغي أن يشكل هذا النص مرحلة الاختيارات الكبرى التي ميّزت الشعر التونسي بالثمانينات ؟ ..

من وجهة نظرنا لا بد أن يكون هذا النصّ الشعريّ عصارّة للتجارب الشعريّة السابقة على أساس عمل كاتبه على الحسم بين الأشكال الأدبيّة بالنظر إلى علاقة الشكل بالمضمون وقراءة الواقع المجتمعي المعيش وتجسيد روح المبادرة والشعور بثقل المسؤوليّة الملقاة على عاتق حملة القلم بوطن سكّنه الخذلان في زمن الصمت والخوف والكبت وذلك لتأكيد الذات وتحقيق الخصوصية والبحث في اللحظة الإبداعية عن أنبجاس النصّ من ذات الشاعر ومن واقعه المكبّل بالأزمات والأحزان وذلك في أنتماء الشاعر في مرحلة مخاض وولادة القصيدة إلى عوالم قصية لها طقوسها وإرهاصاتها أين يكتب النصّ بمناطق قصية داخل الذات حسب عبارة خالد النجّار في كتاب الأسئلة. هناك وفي هذه العوالم يعيش الشاعر حالة الحلم بغد أفضل بمجتمع شهد حالة قصوى من التحوّلات الجذريّة بمجتمع يكفيل بتضميد الجراح في ظلّ حركة التصحيح والإصلاح

تنقش السحب الشتويّة في الزمن الشتوي

وتهب على الأرواح نسيمات الورد

وتعيق دنيانا بالعطر العربي

فالأونة أصطبغت باليقظة

والحلم الصحوي

وأستنهضت الأطلال شظايا الأفكار

قد ولّى اللّيل .. ولاخ إلى العينين تهار

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(حميدة الصولي ديوان تزييف العلاقات الدميّة)

قصيدة الثّهار ص 44 صدر سنة 1985

قف تر الفجر مرتسما في

المسارب يشدو به شاعر

شاعر بوجه جارف

شاعر جرحه فاغر

(البشير المشرقي مجموعة الرياح اللواقح)

قصيدة يا أيّها الوطن المتوحّد ص 98 - 1983

مفاتيح الدلالة لفهم صدّى التحوّلات المجتمعيّة في نصوص

هذه المرحلة من الثمانينات :

(يمكن فهم الدلالة كمسار، إنها الفعل الذي يربط بين الدالّ والمدلول هذا



الفعل نتیجته النصّ .. (رولان بارت محاضرة لذة النص Plaisir du texte) على هذا الأساس تتخلّص مفاتيح الدلالة في جملة من الكلمات المحورية المتواترة بكثافة في نصوص المجاميع الشعرية الصادرة في تلك المرحلة فحضورها ليس من باب التعبير الشعري الزخرفي بل تعتبر لبنة أساسية من لبنات الدلالة في هذه النصوص إذ تشكّل بنيتها الأساسية ويتعلّق الأمر بالكلمات المحورية التي سندرجها في الجدول الآتي :

الوطن - الأرض - بلادي - المنفى - الرصيف - الشارع - المدينة - الجرح -  
 الدم - الزمن - الوقت - الموت - الصمت - الصوت - السحب - الصحو -  
 الولادة - الزحام - السؤال - الهزيمة - الحزن - اللّصوص - الأصدقاء -  
 الفصول الأربعة - الملح - البحر - الموج - الثلج - الورق - الشجر - الشعر -  
 الشاعر - عربي - الورد - العطر -

وظيفة هذه الكلمات المحورية بهذه النصوص تعدّ بمثابة الرحم لولادة الأفكار المركزية المعبّرة عن توجهات الشاعر إذ تثري هاجس الكتابة عنده وتساعد على البوح بما يحتمل في ذاته كما تعكس مدى صلته وانتمائه وأرتباطه وتوحّده بحالة الحلم والشوق التي تتجاوز صلة المنشأ والولادة للتوحّد بالذات أين تولّد حالة الصراع القائم في ذات الشاعر بين العشق والرفض لكيثونة تلتحم بوطن مكبّل بأغلال الصمت والموت.

سأبكي حتّى أغرق بالدمع

وأرى وطني خضرة تولدني

أقول .. بعد الآن لا وجع

(يوسف الورغي ديوان البحر يجامل قرصانه)

قصيدة ولادة ص 37 جندوبة 28 / 4 / 1987

وقد صدق الشابي حين قال في الثلث الأول من القرن العشرين

إنّ ذا عصر ظلمة غير أنسي من وراء الظلام شمت صباحه

ضيعّ الدهر مجد شعبي ولكن سترد الحياة يوما وشاحته

(ديوان أغاني الحياة قصيد ثؤنس الجميلة)

## رسالة الغفران : بين المشاغل الأدبية والقضايا الإجتماعية

بقلم الأستاذ : الطاهر عوني

- توطئة :

يذهب بعض نقدة الأدب إلى حدّ إعتبار رسالة الغفران بمثابة إحدى الروائع الأدبية لأبي العلاء المعري وفي نظرهم لا تعود أهميتها إلى روعة صياغتها وإنما إلى أهمية ما تضمنته من أفكار وآراء موقظة للعقل معبرة عن مواقف واعية من الحياة والمجتمع، عن مواقف حكيم المعرة من مميزات وخصائص القرن الرابع الذي عرف بإنخراط الوسط السياسي في ظلّ البلاط العباسي وإنحطاط القيم الأخلاقية وأنحلال الروابط الإجتماعية وقد عبّر أبو العلاء عن كل ما ملك فكره من مشاغل أدبية وقضايا إجتماعية بأسلوب أدبي تميّزه السخرية الكاشفة وذلك من خلال رحلة ابن القارح المخيّلة إلى عالم الآخرة، عالم الحساب والجنة والنار.

### (1) المشاغل الأدبية :

إنّ المتأمل في رسالة الغفران يلاحظ أنّ المشاغل الأدبية تمثّل إحدى المسائل التي ملكت فكر أبي العلاء والتي أولاها عناية خاصة من ذلك إطنابه في الحديث عنها وتعرّضه لها في أكثر من موضع في الرسالة إذ بادر بإبراز وتوضيح بعض الآراء السائدة آنذاك حول القريض (الشعر) والتي كانت مختلفة ومتضاربة في كيفية تقييمها لجودة الشعر ولقيمة الشاعر إذ هناك من يرى أنّ الشاعر الأفضل من غيره هو الأطول نفساً والأقدر على كتابة أبيات من الشعر أكثر من غيره بينما يرى فريق آخر عكس ذلك إذ أنّه يفضل قلة الأبيات عن كثرتها مع الإيجاز والإفادة والإفصاح عن المعنى المراد تبليغه. وقد جسّد المعري ذلك من خلال تصويره للخصومة التي حدثت بين

كلّ من النّابغة الذبياني والأعشى : "فيقول نابغة بني جعدة : أغرّك أن عدك بعض الجهال رابع الشعراء الأربعة أو كذب مفطلك وإنّي لأطول منك نفسا وأكثر تصرّفا ولقد بلغت بعدد البيوت ما لم يبلغه أحد من العرب قبلي.... فيفضب أبو بصير فيقول : أتقول هذا وإن بيتا ما بنيت ليعدل بعانة من بناءك وإن اسهبت في منطقك فإنّ المسهب كحاطب اللّيل" (1) ثمّ يخلص أبو العلاء المعريّ إلى إبراز وتبيان موقفه من القرّيض وتعريفه له على لسان ابن القارح لما كان يخاطب رضوان، خازن الجنان، فهو المعريّ يرى أنّ الشعر هو مفرد أشعار وهو كلام موزون تقبله الغريزة شريطة أن يبيّنه ويوضّحه الحس إن زاد أو نقص "فقلت : الأشعار جمع شعر، والسعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط، إن زاد أو نقص أبانه الحس" (2) وعلاوة على ذلك فقد تطرّق حكيم المعرفة إلى مسألة أدبيّة تتمثّل في كيفة إخضاع الوزن الشعري لفائدة النّسق وقد أطنب في الحديث عنها مستعرضا بعض النّمائج والشّواهد من ذلك إدخال تحوير أو تغيير على طبيعة الوزن وذلك بزيادة بعض الحروف أو انقاصها أو بتشديد بعضها (الحروف) أو بتخفيفها أو بتغيير حركات بعض الحروف كتغييرها من كسر إلى نصب ومن رفع إلى كسر ومن نصب إلى رفع وقد إتّضح ذلك من خلال ردّ إمروء القيس بن حجر على سؤال ابن القارح "وبعض المعلمين ينشد قولك" من السّيل والغثاء فلكة مغزل "فيشدّد الثّاء فيقول : إنّ هذا لجهول وهو نقيض الذين زادوا الواو في أوائل الأبيات : أولئك أرادوا النّسق فافسدوا الوزن، وهذا البائس أراد أن يصحّح الزّنة فافسد اللفظ" (3) ثمّ ينغذ أبو العلاء إلى مجتمعه عن طريق خياله، فيعرّج على ظاهرة أدبيّة سائدة في عصره وتتعلّق أساسا بالشعر، فقد عاب على معاصريه ومن سبقهم من الشعراء إعتمادهم على

(1) أبو العلاء المعريّ "رسالة الغفران" تحقيق د. مفيد قميحة

دار ومكتبة الهلال بيروت ط أولى 1984 من: 143

(2) نفس المصدر من : 128.

(3) نفس المصدر السابق من : 193.

بحر الرّجز في نظمهم للقريض (الشّعز) فالمعريّ يعتبر الرّجز من أضعف البحور الشعريّة ولا يرى داعياً للإعتماد عليه، وإستعماله من قبل معاصريه من الشعراء فالمعريّ خبير بعيان الشعّر إذ أنّه قد أجاد كتابة الشعّر في ديوانيه "سقط الزند" و "اللزوميّات" فهو لا يرى في إعتماد الشعراء على الرّجز إجادة للشعّر بل هو إنتقاص من قيمته (الشعّر) لذلك جعل امرؤ القيس بن حجر ينكر الأبيات التي نسبت إليه، والتي كانت على وزن الرّجز "أبعد قلبي : خليليّ مرابي على أمّ جندب  
لاقتني لبانات القوّاد المعذب

يقال لي مثل ذلك ؟ والرّجز من أضعف الشعّر وهذا الوزن من أضعف الرّجز" (4) وبالإضافة إلى ذلك يحيلنا أبو العلاء على إحدى الظواهر الأدبيّة السائدة في عصره والمتعلّقة في نسب الشعّر لغير صاحبه إذ تفشّت هذه الظاهرة في تلك الفترة بكثرة ونستخلص ذلك من تعرّض المعريّ لها في أكثر من موضع ومع أكثر من شاعر ونظرا لخطورها (الظاهرة) ندّد بها المعريّ وأستنكرها على لسان إمريّ القيس ابن حجر وأعشى قيس الذي جعله المعريّ يرفض مثل هذه المسائل خلال ردّه على سؤال ابن القارح وفي الحقيقة فإنّ ربّ الأعشى يمثل موقف المعريّ الذي كانت رؤيته لمثل هذه المسائل تنبئني على الرّقض والإستنكار والسخرية وينبئني إلى أعشى قيس فيقول "أبا يحيى أنشدنا قولك:  
"أمن قتلة بالأنقا" دار غير محلولة" فيقول أعشى قيس : ما هذه مما صدر عني وإنك منذ اليوم لمولع بالمتحولات" (5) وعلاوة على ما سلف ذكره فإنّ أبا العلاء قد تطرّق إلى معالجة مسألة السرقات الأدبيّة في القرن الرابع وقبله مبيناً خطورها وتأثيرها على المجال الأدبي موضحاً أنّ جنوح معاصريه من الشعراء والأدباء إلى إثيان مثل هذا الصنّيع هو إيمان منهم بعجزهم وقصورهم وهو تدنيس لقداسة العلم والأدب وتجنّي عليه لذلك عمد المعريّ إلى التنديد والتشهير بمثل هذه الممارسات التي تسيء إلى الشاعر وإلى الشعّر على حدّ سواء وقد جسّد أبو العلاء أبعاد

(4) نفس المصدر السابق ص : 196

(5) نفس المصدر السابق ص : 116

ومعطيات هذه الظاهرة في قول ابن القارح "فلما أقمت في الموقف زهاء شهر أو شهرين وخفت في العرق من الغرق، زينت لي النفس الكاذبة أن أنظم أبياتا في رضوان خازن الجنان عملتها على وزن "قفانئك" من ذكرى حبيب ورفان" ووسمتها برضوان" (6) فمن خلال ذلك نستنتج إستغلال ابن القارح الذي يجسد شعراء القرن الرابع لمطلع قصيدة امرؤ القيس "قفانئك" من ذكرى حبيب ومنزل" فإبن القارح قد أدخل تغييرا طفيفا على المطلع ويتمثل في تغيير "منزل" بـ "رفان" مدعيا أنه صاحب البيت وما ابن القارح إلا أنموذجا من شعراء عصره الذين أضافوا إلى شعر سابقيهم أو أتقصوا منه ونسبوه لأنفسهم وزيادة على ذلك فإن أبا العلاء قد تفتن إلى ظاهرة سائدة في القرن الرابع تهدد الامانة العلمية والأدبية وإستقلال الأدب عن البلاط من ذلك تفشي ظاهرة الأدب التكبسي وخاصة الشعر منه فأغلب معاصري المعري من الشعراء قد امتهنوا صناعة الأدب وكرسوها لخدمة البلاط العباسي وذلك بمدح الوزراء والأمراء في محاولة للتقرب منهم وإلتماس عطفهم وجني بعض الدراهم إذ ورد في الرسالة ما يشير إلى صحة ما ذكرنا "فيهم الشيخ لازالت همته عالية بأن يكتب منه ثم يقول : لقد شقيت في الدأر العاجلة بجمع الأدب ولم أحظ منه بطائل وإنما كنت أتقرب به إلى الرؤساء فأحتلب منهم دراهم" (7) ثم يتطرق المعري إلى درس ظاهرة تزيف الشعر والدس فيه إما بالزيادة فيه أو بالإنقاص منه فالمعري أراد من خلال ذلك إبراز شكّه في مدى صحة الشعر وذلك نظرا لإنعدام الثقة والامانة العلمية فالمعري إنتقد رواة الشعر وخاصة معاصريه منهم لمساهمتهم في تزيف الشعر وتدنيسه بالدس فيه وقد عبّر المعري عن موقفه من تلك الفئة من خلال ردّ إمري القيس بن حجر على سؤال ابن القارح "يا أبا هند إن رواة البغداديين ينشدون في "قفانئك" هذه الأبيات بزيادة الواو في أولها :

وكان مكاي الجواء  
وكان الصّباع فيه غرقى

(6) نفس المصدر السابق ص : 143

فيقول "أبعد الله أولئك لقد أساؤوا الرواية وإذا فعلوا ذلك فاني فرق يقع بين النظم والنثر ؟ وإنما شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض فظنّه المتأخرون أصلا في المنظوم وهيئات ، هيئات" (8) وبالإضافة إلى ذلك فإنّ أبا العلاء قد أشار إلى الخصومات الأدبية التي كانت تقع بين الشعراء في عصره مردها الحقد والكراهية بين الشعراء و تنافسهم من أجل الفوز بالمرتبة الرفيعة والحياة اللذيذة داخل البلاط خاصة والجدير بالذكر أنّ أبا حيّان التوحيدي قد أشار إلى تفشّي هذه الظاهرة في مؤلّفه "الإمتاع والمؤانسة" ومن الملاحظ أنّ المعري قد جسّد تلك الظاهرة من خلال خصومة حدثت بين النابغة الذبياني والاعمش سببها إختلافهما في كيفية تقييمهما لجودة الشعر ولقيمة الشاعر "ويشب نابغة بني جعدة على أبي بصير فيخربه بكون من ذهب فيقول أصلح الله به وعلى يديه لا عريدة في الجنان إنّما يعرف ذلك في الدار القانية بين السفلة والهجاج" (9) والجدير بالذكر أنّ أبا العلاء قد تعرّض في غفرانه إلى ظاهرة التباغض والتحاسد بين أدباء وعلماء عصره كما نشير إلى أنّ التوحيدي قد تعرّض لهذه الظاهرة في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" وقد بين المعري خطرها (ظاهرة التباغض والتحاسد) محلّلا دوافعها وأبعادها وقد عبّر المعري عن ذلك من خلال قوله في الرسالة: "أفندرك أحمق ابن يحيى هنالك قد غسّل من الحقد على محمد بن يزيد، فصارا يتصافيان ويتوافيان كأنهما ندمانا جذيمة مالك وعقيل جمعهما مبيت ومقيل وأبو بشر عمر وبن عثمان سيبويه قد رخصت سويداء قلبه من الضنن على علي بن حمزة الكسائي وأصحابه لما فعلوا به في مجلس البرامكة (10) ومجمل القول فإنّ أبا العلاء المعري قد تعرّض إلى مختلف المسائل الأدبية والفكرية التي أرقته وملكت فكره إلا أنّه لم

(7) نفس المصدر السابق ص : 186

(8) نفس المصدر السابق ص : 192

(9) نفس المصدر السابق ص : 130

(10) نفس المصدر السابق ص : 90

يتناولها بمعزل عن نظيرتها الإجتماعية التي أولاها عناية خاصة وتعرض لها في أكثر من موضع في الرسالة.

## (2) القضايا الإجتماعية :

إنّ الدّارس لرسالة الغفران يلاحظ أنّ إهتمام أبى العلاء المعريّ بالمشاغل الأدبية التي أرقت فكره وملكته لم يشغله عن التعرّض لمختلف القضايا الإجتماعية بل أنار له السبيل وساعده على ولوج المسألة ويعزى ذلك إلى الارتباط الوثيق بينهما (أي المشاغل الأدبية ونظيرتها الإجتماعية) وأحتواء أحدهما للآخر فننقذ المعريّ إلى مجتمعه عبر ملكة الخيال، منتقدا حيناً وواعظاً ومرشداً حيناً آخر ففي نقده لعدد القضايا الإجتماعية طرح وتبيان للبديل، فأنبرى يوارى ويكشف مساوئ مجتمعه مبرزاً الأسباب مفصلاً عن الأبعاد فبادر حكيم المعرفة بالتشهير بأفهام معاصريه من النّاس التي سيطرت عليها الخرافات والأساطير الفاطنة الشيء الذي إنعكس على فهمهم لمحتوى النّص القرآني فكان سطحيّاً، وأثر في تصوّره للعالم الآخر، عالم الحساب والجنة والنّار فكان مادياً، فتطوّر المعريّ بلسانهم ساخراً طورا مستهزئاً طورا آخر من ذلك إبرازاً لمفهومهم ليوم الحشر إذ كانوا يعتقدون أنّ هذا الأخير (يوم الحشر) عبارة عن سوق استبويغية يكثر فيها الهرج والمرج والضّجيج والصّياح وهذا الفهم هو سطحي وظاهري ينمّ عن عقلية إنسان القرن الرابع وقد عبّر المعريّ عن ذلك من خلال قولي ابن القارح ثمّ ضانكت النّاس حتّى وقفت منه بحيث يسمع\* (11) والخطيئة \*والله ما وصلت إليه إلّا بعد هياط ومياط\* (12) فبعض الألفاظ الواردة في القولتين ترمز إلى الزّحام والضّجيج والجلبة مثل "ضانكت" "هياط ومياط" وفي إطار تصوّره الساذج ليوم الحشر إعتقد معاصرو المعريّ في الرأى القائل بوجود صراط يعبرها الإنسان ومن عليها يحدّد مصيره فإن كان محسناً يعبرها بسلام وإن كان مسيئاً يسقط من عليها

(11) نفس المصدر السابق من : 143

(12) نفس المصدر السابق من : 186

في الدرك الأسفل من النار وفي محاولة منه للتعبير عن مدى شيوخ هذا  
 المعتقد في عصره صورَ المعريّ ابن القارح وهو يعبرُ الصراط في مشهد  
 كاريكاتوري مضحك مبرزاً بذلك سخريته من تصورات وأفهام معاصريه  
 التي قال عنها في اللزوميات بأنّها قد صدّحت وتطرّق المعريّ إلى موضوع  
 الغفران موضعاً تصوّر إنسان القرن الرابع له والذي كان من المنظور  
 العلائقي ساذجاً وسطحياً هو الآخر ففي نظره يمكن الحصول على الغفران  
 وصكّ التوبة بعد الركون إلى حياة العبث واللّهو والمجون ببیت شعر يمدح  
 فيه الرسول أو الإله أو تذييل كتاباتهم بالصلاة على الرسول وعلى عمرته  
 الصالحين أو بدعوة الناس إلى الإيمان والتّصديق بالإسلام من خلال قول  
 الشعر وقد عبرَ المعريّ عن ذلك من خلال منحه لإبن القارح ذلك الشّيخ  
 المتصاّبي والمتهاك على مباحج الدّنيا ولذا نأذها والذي أعلن توبته في آخر  
 حياته صكّ الغفران الذي سمح له بدخول الجنّة وذلك كمكافأة له على تذييله  
 لكتبه بالصلاة على الرسول وكذلك عبید بن الأبرص دخل الجنّة بحرمة  
 تتمثّل في بيت من الشعر مدح فيه الإله ولتجسيد سخريته واستهزائه  
 الحقيقي من تصوّر معاصريه لمسألة الغفران أدخل المعريّ الحيوانات إلى  
 جنّته ولكلّ حرمة فأسد القاصرة دخل الجنّة يتعلّة إفراسه ابن أبي لهب  
 والحيّة دخلت الجنّة كذلك بحرمة تتمثّل في إسماعيل إلى قراءة القرآن في  
 بيت الحسن البصري حتّى حفظت الكتاب من أوّل إلى آخره وعلاوة على  
 ذلك فقد قال معاصرو المعريّ بمعتقد التّعويض إذ أنّهم كانوا يرون أنّ  
 الإنسان سيعوّض ما كان يفقده في الدار العاجلة (الدّنيا) ريثما يدخل  
 الجنّة وكشاهد على ذلك أورد المعريّ بغفرانه ما دار من حديث بين ابن  
 القارح وحميد بن ثور الذي أصبح متمتعاً بنعمة البصر بعد أن كان كفيفاً  
 في العاجلة وكان علي بن منصور (ابن القارح) السائل وحميد بن ثور المجيب  
 كيف بصرك اليوم ؟ فيقول لاكوننّ في مغارب الجنّة فالج  
 الصديق من أصدقائي وهو بمشارقتها وبينني وبينه مسيرة  
 ألوف أعوام للشّمس التي عرفت بسرعة مسيرها في العاجلة  
 (13) كما إنّ نقد المعريّ المعتقد السائد في عصره والقائل بأنّ



الجنة هي إمتداد للحياة الدنّيا والذي (المعتقد) يستند إلى النّظرة الماديّة الحسيّة للجنة من ذلك أنّ الجنة عبارة على مجموعة أنهار من العسل واللّبن وبها النّوق والمأكّل الفاخرة وكلّ ما تشتهيهِ نفس البشر وقد عبّر أبو العلاء عن ذلك من خلال رحلة ابن القارح في الجنة وإقامته لمأدبة بها "فيبدو له أيّد الله مجده بالتأييد أنّ يصنع مأدبة في الجنان يجمع فيها من أمكن من شعراء الخضرمة والإسلام والذين أصلوا كلام العرب وجعلوه محفوظا في الكتب وغيرهم ممّن يتأنّس بقليل الأدب فيخطر له أن تكون كمأدب الدّار العاجلة" (14) وقد خلص المعريّ في غفرانه إلى الحديث عن ممارسات إنسان القرن الرّابع الذي عرف بنزوعه وميله إلى إتيان الشرور مثلما قال الخيشفور الذي يعرف بأبي هدرش وهو من أهل الجنّ "لقد ألفيت من بني آدم شرّاً ولقوا منّي كذلك" (15) ونظروا لتجذّر جيّلة الشرّ في غرائز معاصري المعريّ فإنّهم أكثروا من إتيان الشرور ومناقضة مشاربهم الفكريّة التي تستند أساسا إلى النّص القرآني والسيرة النّبويّة فإنغمسوا في حياة اللّهُو والمجون من ذلك تعاطيهم للرّواظ وهي ظاهرة سادت في القرن الرّابع ولا تنمّ إلّا عن تدهور القيم الأخلاقيّة وتدنيّها وقد شهّر المعريّ بهذه الممارسات موضحا أسبابها ودوافعها مبورا أبعادها وتأثيرها على البنية الاجتماعيّة والعلاقات الأسريّة ويتضح ذلك من خلال سؤال إبليس لابن القارح "إنّي لأسألك في شيء من ذلك ولكن أسألك عن خير تخبرنيهِ : إن الخمر حرّمت عليكم في الدنّيا وأحلّت لكم في الآخرة فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلّدين فعل أهل القريات ؟ فيقول عليك البهلة أمّا شغلك ما أنت فيه" (16) وبالإضافة إلى ذلك فقد عرف معاصرو المعريّ بميلهم إلى المتعة الماديّة الحسيّة وأنصرافهم إلى اللّهُو والمجون وذلك رغم نهلهم من منظومة فكريّة عقائديّة (الإسلام) تنهى عن ذلك (اللّهُو والمجون) وتحذر من الإدمان عليه وقد عبّر المعريّ عن ذلك من خلال

(14) نفس المصدر السّابق ص : 157

(15) نفس المصدر السّابق ص : 186

(16) نفس المصدر السّابق ص : 189

قول ابن القارح وهو يعبر الصراط للجارية التي أمرتها فاطمة بنت الرسول بأن تساعد وتجيّزه وما علي بن منصور المعروف بإبن القارح إلا أنموذجاً لمعاصريه من الناس : 'يا هذه إن أردت سلامتي فإستمعلي معي قول القائل في الدّار العاجلة :

سَتْ إِنْ أَعْيَاكَ أَمْرِي فَأَحْمِلْنِي زَقْفُونَةَ

فقالَت وما زَقْفُونَةُ ؟ قلت أن يطرح الإنسان يديه على كتفي الآخر ويمسك الحامل بيديه ويحمكه وبطنه إلى ظهره\* (17) ومن الملاحظ أنّ ميل إنسان القرن الرابع إلى حياة المتعة قد أثر في نظرتَه للمرأة فرسَخَ لديه النظرة الماديّة الحسيّة تجاهها والتي تستند إلى اعتبار المرأة رمزاً للجسد والمتعة وما هي إلا وسيلة لتلبية الرغبات الجنسيّة الغرائزيّة الشهوانيّة وأفصح المعريّ عن ذلك بتصويره لإبن القارح وهو يتشرّف رضاب الحوريتين في الجنّة "ويخلو لا أخلاه الله من الإحسان بحوريتين له من الحور العين ويقبل على كلّ واحدة منهما يتشرّف رهما بها" (18) والجدير بالذكر أنّ كلّ الصّفات التي سلف ذكروها والتي عرف بها معاصرو المعريّ قد جذّرت فيهم ميزة النفاق والإحتيال والتي تعرّض لها المعريّ في غفواته محلّلاً تارة مندداً ومشهراً تارة أخرى فإنسان القرن الرابع الذي وجد في فترة قويبة من زمن ظهور الإسلام والذي إتخذهُ كمنهج على ضوئه يحدّد مسيرته الحياتيّة وإعتباره ديانة رسميّة والإلتزام بالقيام بما تدعو إلى القيام به والإبتعاد عن ما تنهى عنه ورغم كلّ ذلك فإنّه (إنسان القرن الرابع) قد ظلّ يحمل في ذاته شيئين متناقضين لا يجتمعان في ذات شخص واحد ألا وهما الإلتزام بالنصّ القرآني واتباع الأفعال التي نهى عنها وحرّمها من ذلك معاقرة الخمرة ومعاشرة الحسنات وقد عرفَ المعريّ هذه الظاهرة السائدة في عصره بظاهرة النفاق وقد عبّر عن ذلك من خلال تصويره لإبن القارح ذلك الشيخ الذي أعلن توبته في آخر حياته يسترق النّظر إلى ردف جارية وهو ساجد "ويخطر له في نفسه وهو ساجد أن تلك الجارية على حسنّها

(17) نفس المصدر السابق ص : 151

(18) نفس المصدر السابق ص : 168

خاوية فيرجع رأسه من الشجود وقد صار وراءها ردف يخاضي  
 كثنان عالج وأنقاء الدهناء وأرملة يبزين وبني سعد فيها  
 من قدرة الله اللطيف الخبير ويقول يا رزاق المشرقة سناها  
 ومبلغ السائلة منها والذي فعل ما أعجز وهال ودما إلى  
 الحلم الجهال أسالك أن تقصر بوح هذه الحورية على ميل في  
 ميل\* (19) ومن الملاحظ أن تفشي ظاهرة النفاق في القرن الرابع للهجرة  
 وأنصف إنسان ذلك العصر بهذه الميزة وإنعكاسها على سلوكه وتصرفاته  
 قد تأثت عنه خاصية أخرى إختصت بها تلك الحقبة الزمنية دون غيرها من  
 الحقب وتتمثل هذه الخاصية في شيوع ما يعرف باتعدام الثقة والأمان بين  
 الناس وخاصة داخل البلاط فمن خلال المثال الذي سنورده نستخلص أن  
 خازن الأمير أبي المرجي لم يكن في حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه فخان  
 العهد ولم يحرس الأمانة التي إنتمن عليها والمتمثلة في رعاية وحراسة  
 خزائن سيده أبي المرجي، مما سيجعل العلاقة بينهما ترتكز على أنعدام  
 الثقة وخيانة العهد وقد أصبحت هذه العلاقة في جوهر نوعيتها وأساس  
 ارتكازها شعار التعامل بين الناس في تلك الفترة وقد عبّر المعري عن ذلك  
 من خلال قول ابن القارح 'وعلى باب الجنة من داخل شجرة صفصاف  
 فقلت أمطني ورقة من هذه الصفصافة حتى أرجع إلى الموقف  
 فتأخذ عليها جوازاً فقال لا أخرج شيئاً من الجنة إلا بإذن من  
 العلي الأعلى تقدس وتبارك ولما دحرت بالنازلة قلت : إنا لله  
 وإنا إليه راجعون لو أن للأمير أبي المرجي خازناً مثلك لما  
 وصلت أنا ولا غيري إلى قرقوف من خزائنه والقرقوف هو  
 الدرهم\* (20) ونظراً لتمييز معاصري المعري بالنفاق وعدم الثقة وخيانة  
 الأمانة والعهد قد إنجر عنه شيوع ظاهرة الوشاية والمتمثلة في كثرة  
 الرقياء والوشاة الذين ينقلون أخبار الرعية وأحاديثهم إلى السلطة الحاكمة  
 وفي المثال الذي أورده المعري في غفرانه قد جسدت شخصية الوزير أو  
 الأمير من خلال لفظة "الجبار الأعظم" أي الإله فالله قد حلّ محلّ الأمير

(19) نفس المصدر السابق ص : 171 - 172

(20) نفس المصدر السابق ص : 152

والواشي قد رمز إليه بلفظة "ملك" أي أن الملك قد حلّ محلّ الرقيب أو الواشي والرعية قد جسدت في المجلس المجتمع "فيريد بلّغه الله أن يصلح بين الندماء فيقول: يجب أن نحذر من ملك يعبر فيرى هذا المجلس فيرفع حديثه إلى الجبار الأعظم فلا يجرّ ذلك إلا إلى ما تكرهان واستغنى ربنا أن ترفع الأخبار إليه ولكن جرى ذلك مجرى الحفلة في الدار العاجلة أما علمتما أن آدم خرج من الجنة بذنب حقير فغير آمن من ولد أن يقدر له مثل ذلك (1)؟ كما تعرّض المعري في تناوله للقضايا الاجتماعية في غفرانه إلى إحدى ميزات ذلك المجتمع الأفل وقد ظلت هذه الخصوصية تنهش بنيته الاجتماعية محدثة فوارق كان لها الإنعكاس السيء على الفرد والمجتمع على حدّ سواء ألا وهي ميزة الطبقة التي تفتشت في تلك الفترة وعرفت بتثانية الفقر والغنى وقد أبرزها المعري من خلال منحه لزهير بن أبي سلمى قصرين منيفين من الذهب في رياض الجنة ومنحه للخطينة كوخا في أقصى الجنة فنستنتج التناقض الصارخ بين "قصرين منيفين من الذهب" و "الكوخ" وكذلك بين "رياض الجنة" و "أقصى الجنة" وأراد المعري بذلك تجسّد الطبقة التي سادت في عصره والتي شهِر بها في لزومياتها كذلك والجدير بالذكر أن حكيم المعرة قد تطلّع إلى شيوخ ظاهرة الوساطة في عصره والتي أصبحت بمثابة القيمة الاجتماعية الوضعية والتي تسود ظاهرة التعامل بين الناس بل أصبحت المحدّد الوحيد لها ولكيفيّتها فالوساطة أصبحت لغة العصر العباسي الثالث ومثلت المنهج أو المسلك المؤدّي إلى الحياة اللذيذة المرتبة الرفيعة، إلى التمتع بالدنيا تمتعاً إزدواجياً تمتعاً مادياً (المال) و تمتعاً معنوياً (الجاه) وقد عبّر المعري عن شيوخ مقولة الوساطة في عصره عن طريق ردّ حمزة بن عبد المطلب على طلب ابن القارح بعد أن أرسله إليه زفر خازن الجنة "فقال : إنّي لا أقدر على ما تطلب ولكنّي أنفذ معك تورا، أي رسولا إلى ابن أخي على بن أبي طالب ليخاطب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في

(21) نفس المصدر السابق من : 131

(22) نفس المصدر السابق من : 146

امرك فبعث معي رجلاً فلماً قصراً قصصتي على أمير المؤمنين، قال أين بينتك ؟ يعني صحيفة حسناتي (22) وفي إطار نقده لواقع مجتمعه المنخرم والمتروكي لم يغفل المعري عن التعرّض إلى الميدان السياسي بل أولاه عناية كبرى مبرزاً أسباب انخراجه وتعقّنه مرجعاً ذلك إلى الأمير أو الوزير وبطانته التي كانت تسهر على تسيير أمور الدولة العباسية وإدارة شؤونها حتّى بلغ به (الوزير) الأمر إلى الخضوع لأوامرهم وتلبية طلباتهم بدون تردّد وقد عبّر المعري عن ذلك بما يدلّ عن سعة ثقافته وتشبّعه بالعلوم وطلاقة خياله فقد رمز المعري بتغيب الإلاه يوم الحشر إلى تغيب السلطان العباسي وبسيطرة الرسول وعثرته إلى سيطرة الحاشية أو البطانة على البلاط كما يذهب بعض الدارسين إلى القول بأن إشارة المعري إلى كثرة الجوّاري في الجنّة هي نقد لاذع للسلطان العباسي الذي أكثّر من الجوّاري ومجالس الطّرب والأنس داخل البلاط آنذاك ومجمل القول أن أبا العلاء المعري قد تعرّض في غفرانه إلى المشاغل الأدبية التي ملكت فكره واحتفظ بها وتخطّأها إلى الحديث عن القضايا الاجتماعية التي نهشت بنية مجتمع القرن الرابع آنذاك لذلك كانت رسالة الغفران وثيقة تاريخية تطلّعنا على الحياة الأدبية والبثية الاجتماعية في العصر العباسي الثالث.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## الآزمة و معانيها في شعر المتنبي

بقلم : خليفة الخباري

\* توطئة :

من الأسئلة التي تتبادر للذهن سريعا، سؤال يخالغ القارئ حالما يجلب انتباهه العنوان : «ماذا يمكن للدارس اضافته اليوم وشعر المتنبي يتصدّر موسوعة الشعر العربي تناولا وتداولاً ؟». إلا أن ملاحظة ثوردها تبدو كافية لتبيان معنى استمرارية دراسة شعر المتنبي : إن الدراسات التي جابت عوالم أبي الطيّب الشعرية تنقسم إلى قسمين : دراسات جزئية تتقصى مواضيع معينة من أشعاره، ودراسات شمولية لا تهتم بالجزئيات. هذا بقطع النظر عن الدراسات اللغوية الصرفة التي اختصّ في شأنها النقاد القدامى. وبين الشمولية والتجزئية تتدفن بعض المواضيع الجديدة بالدرس في حين أن المنحنيين السابقين الذكر عرّضوا للجدل المطرد بحيث أصبحا في حدّ ذاتهما مواضيع للدرس في شكل نقد نقد. وموضوع الزّمن الذي نحن بصده اشكال فلسفي في المقام الأوّل، إلا أنّه في الأدب يتصدّر كذلك قائمة المواضيع التي لا تقبل حسما نهائياً، وتظلّ بكرا في تقادما ... فالزّمن والدّهر والزّمان والحين مصطلحات متداخلة المعاني حتّى في الكتاب المنزل، واستمرارها في الآداب العربية بهذه المفاهيم يغذي استمرار بعدها الإشكالي.

### I - مصادر التداخل المعنوي بين الدّهر والزّمن :

درج أبو الطيّب على تداول مصطلحي الدّهر والزّمن في أشعاره بمفهوم موحد من حيث التجسيم، أي أنّه يورد المصطلحين في شكل قويّ حيّة تصدر عنها أفعال تنال الإنسان وتتعدّاه ... وتنحو هذه الأفعال في أغلب الأحوال

منحى سلبياً إذ تصبَّ عادة في خانة الإساءة للإنسان تنكيلاً به وعرقلة لمساعيه وتبديدا لصبواته ... ويمتدَّ الزَّمن بأسماءه الثلاثة (دهر / زمن / زمان) على مساحة تقدر بثلاثي اشعار المتنبي مقابل ثلث واحد وعلى مستوى الثلثين يشترك الدهر والزمن في صياغة مفهوم القوة الهادمة والمحبطة في حين يترواح مفهوم الزَّمان بين الإمتزاج بالمفهوم السابق، والإنفراد بالفعل الإيجابي الأوحد المتمثل في الإنعام بالممدوح النموذجي ... وقتلما ورد الزَّمان مفعولاً به (الدهر من رواة قصائد الشاعر)، أو أصغر من أن يحتوي الممدوح، وتلك من مبالغات الشاعر التي لا تحصى ضمن المقاييس، وفي ما يلي نثبت ثلاث امثلة مبوبة وفق ما سبق ذكره :

\* لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئا تتيمة عين ولا جيد  
(...) ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسمي بي فيه عبد وهو محمود. (1)

\* لست لي مثل جدّ ذا الدهر في الأدهر أو رزقه من الأرزاق  
أنت فيه وكان كلّ زمان يشتهي بعض ذا على الخلاق. (2)

\* فبأيما قدم سعيك إلى العلا أدم الهلال لأخصيك حذاء  
ولك الزَّمان من الزَّمان وقاية ذلك الحِمام من الحمام فداء. (3)

خلاصة القول أن الجامع بين المفاهيم السالفة هو فعل الشاعر بحيث تطفئ الكبوات فتعطينا صورة موحشة للزَّمن مستمدة من واقع الشاعر الذي لا يكاد يعرف معنى الإستقرار إلّا إلى حين، إضافة إلى التوجّه الخطير لحركة الإنسان في الزَّمن حيث يسود الوعي بحتمية الموت مهما تنوعت المساعي في الزَّمان. ولعلّ ذلك ما جعل كلّاً من الزَّمن والدهر يحاطان بالمصائب ويتقمصان الفاجعة في مفهوميهما : فالزَّمن مخشّى مثلاً في «أساس البلاغة»

(1) قال هذه القصيدة عند خروجه من مصر يهجو كافورا.

(2) يمدح أبى العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي.

(3) يمدح أبى علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب وكان يذهب إلى التصوف

يختار من امثلة العرب في استعمال اللَّفْظَيْن :

- «معي نكايات الزَّمن» اللزوم والمصاحبة.

- «نَهَرَ النَّاسَ أَمْرُهُ» أصابهم الدهر به.

فالجامع إذن معنوي أكده في الإسلام إشكال الخلق والقدم إذ نُعت من قال  
يقدم العالم بالدهري. والدهرية اصطلاحاً ضربٌ من الالحاد يقابله القول  
بالحدوث أو الخلق. إلا أن ردّ الأفعال الموجبة إلى الله وحده جعلت العرب  
تلتصق الأفعال السالبة بالدهر قوة غيبية سالبة مقابل قوة غيبية موجبة  
الإنسان مدان لها بخلقه وحياته في إطار زمني ومكاني معينين.

## II - الشعر في إطار الزمن السالب :

لما كان الزمن بمفهومه المنبثق من مصطلحات مختلفة وحدة لا تتجزأ،  
فإن هذا التوحد يكتسح الأغراض الشعرية فيزيلها تماماً بحيث يصبح  
الشعر في إطار الزمن السالب انعكاساً كلياً يبطن الزمن المكتسح لحركة  
الشاعر المنعكسة بدورها على قوله ... فإذا بفعل الهدم تحتويه المدحية كما  
المرثية والهجائية. فالمتنبي في مدحه شجاع بن محمد الطائي المنبجي  
يقول :

نقمُ على نقم الزَّمانِ يصيَّبها نعمٌ على النعم التي لا تجد  
في شأنه ولسانه وبنانه وجنائِه عجيلاً لمن يتفقد

ويقول في رثاء أبي الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة (ت 949 م) :

إذا ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت أن الموت ضرب من القتل  
وما الدهر أهل إن تؤمّل عنده حياة وإن يشاق فيه إلى النسل .

وفي هجاء كافور نورد البيت الموالي :



ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسيء بي فيه عبد وهو محمود.

وبهذا يكتسب الزّمن السالب صورته الشمولية من تجاوزه الأغراض الشعرية، إلى الشّعْر أو مفهوم الشعر بالأحرى أو ما يسمّى بالوظيفة الشعرية. وفي ذلك أغراء بدهرية الشاعر بالتأويل فنّا، خاصة وان مسيرة المتنبي مفعمة بالإنْتفاض والإنقضاض، بالكبوات والانتكاسات، وبالإحباط المطرد بحيث تصوّر اشعاره الحياة المعاشة دائرة مفرغة بدايتها نهايتها والعكس بالعكس.

وسبب اعتبارنا سابقا الفعل الإيجابي الأوحد للزّمن نشازا في أشعار المتنبي .. فمرّد ذلك إلى اتّصال هذا الفعل بغرض واحد قوامه المبالغة والنّفخ في الصور العادية .. إذ لا يقترن الفعل الموجب للزّمن إلّا بالصورة المثلى للممدوح التي تبرز لعيان القارئ العادي في سيفيات المتنبي بالخصوص.



### III - الزّمن خارج ثنائية السّلبي والإيجابي :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

خارج هذه الثنائية نجد الزّمان في أشعار المتنبي بمعنيين :

أ - المعنى العادي للكلمة : الفعل الإنساني امتداد بين عديمين في إطار مكاني يحدّد موقعه وأطار زماني يحدّد وقت حدوثه صادرا عن فاعل موجود ذي حركة مستمرة من لحظة زمنية معينة إلى نظيرتها الحكومة بقوى الغيب. ومثال ذلك قول الشاعر في مدح سيف الدولة :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزّمان وملئ السّهل والجبل  
فنحن في جدل والرّوم في وجل والبرّ في شغل والبحر في خجل

ب - المعنى الفصلي للزّمان : ونستقيه أساسا من قصيدة المتنبي

«مغاني الشعب» في مدح عضد الدولة، التي يفصح مطلعها عن معنى للزمان اندثر تماماً ما عدى ما حفظته القواميس :  
مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان.

هذا المطلع لم يوقف أي دارس ولم يشد انتباه محبي الجدل حول غموض مطالع المتنبي، بل أن شارحي الديوان نظروا إلى منزلة الربيع في هذا الموضع على أنها منزلة الربيع بين بقية الفصول السنوية : (شتاء/ ربيع/ صيف/ خريف). في حين أن التشبيه الذي عمد إليه الشاعر مستوحى من البيئة الصحراوية وخاصاً بأهلها. لأن الربيع هنا هو "ربيع الأزمنة" ويعرفه الفيروزآبادي في قاموسه المحيط (ج III فصل الرأى، باب العين) بقوله :

«... والربيع ربيعان : ربيع الشهور وربيع الأزمنة. فربيع الشهور شهران بعد صفر ولا يقال إلا شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر. وأمّا ربيع الأزمنة فربيعان : الربيع الأوّل الذي يأتي فيه النور والكفاة. والربيع الثاني الذي تدرك فيه النّمار أو هو الربيع الأوّل. والسنة ستة أزمنة : شهران منها الربيع الأوّل وشهران صيف وشهران قيط، وشهران الربيع الثاني وشهران خريف وشهران خريف وشهران شتاء» ويوافقه ابن منظور في تفسير نفس المادة (أنظر لسان العرب مادة «ربيع» ط). دار لسان العرب ص (1110). ويبدو أن من تطوّفه بين الجواني واتصاله بالعامّة ومعاشرته إيّاهم.

#### \* خاتمة :

حاولنا في هذه الدراسة الإمام بمعاني لفظ واحد يتخذ أكثر من ثلاثة مصطلحات أسماء له، ويحافظ في الآداب العربية على غموض يكتنفه. واخترنا المتنبي نموذجاً لكثرة استعماله هذا المسمى ذي الأسماء المتعددة، بأشكال مختلفة. وفي ثلاثة عناصر حاولنا احصاء مختلف انماط الإيراد في الديوان. أملاً لا في إيجاد صياغة نهائية لمعاني الأزمنة بل أنكاء للجدل وإثارة لخوافي هذا الموضوع.

خ . خ سليمان

## آمال حية

للأستاذ : عبد الستار الهاني

ما منه أطيب غير الشعر والأدب  
وذا أمارس والهفى مع النصب  
لقد سلمت من الآفات والتعب  
على صراع مع الأنواء والذهب  
حتى أعود بليل فاقد الشهب  
غير الترانيم أو رعد من السحب  
ما يشهد الناس في الأمصار من صخب  
فيا لشقوة مسلوب ومستلب  
إلا وكان أسي اللذمان مصطحبي  
إذا فترغت للأشعار والأدب  
ويخلد الذكر في الأباد والحقب  
لما يفوق مجيد الأصل والنسب  
ولا يضيع جهاد العلم والأدب  
فصرت نمرًا مهيبًا مجهد الوثب  
أن تصحب الطير في التحليق بالسحب  
أحلام ماضٍ تمض القلب بالكرب

العيش بين سفوح المرج من رغي  
هذا عشقت ولم انعم بصحبته  
لو قد بقيت بعيدا في مرابعنا  
وكنت أبسط فلاح وأقصد  
وكنت أغدو بفجر لا ترى سبلي  
ألقي الهدوء مهيبا لا يمكنه  
وتلك نعمى لعمرى لا يماثلها  
ومن سباق مع الحاجات في نهم  
ومر دهر ضياعا لبيت أذكركه  
وقلت يوما بأنني غير منقبين  
فذاك شيء يلدّ النفس بسحرها  
ويعنح الشخص تعظيما وتكرمة  
فقد يضيع حطام نحن نجمعه  
لكن عوائق شتى عطبت طرقى  
وما يؤلم نفسي غير قدرتها  
واليوم أفزع للأشعار ألهمها

ماي 1975

## نفثات ...

شعر : نور الدين بن بلقاسم

هوى ...

يَا نَارَ الْهَوَىِّ بِاللَّهِ دَارِينِي  
حُبُّ الْجَمَالِ كَادَ يَبْرِينِي  
لَا تَحْرِقِي الْقَلْبَ، إِنَّ الْقَلْبَ مِنْ طِينِ

قرنبالية في 1991/11/5



جفاء ...

أَدْنُ مَنْي حَبِيبِي مَالِكٌ حَذِرُ  
أَهَذَا الَّذِي تَبْدِيهِ دَلَّ أَمْ خَفِرُ ؟  
إِذَا بَدَوْتُ لَعِينِي أَمَحَى الْقَمَرُ.

قرنبالية في 1991/11/6

امل ...

قَلْبِي أَتُونُ مِنْ غَرَامٍ يَشْتَعِلُ  
كَلَّمَا لَاحَ جَمَالُ زَادَ فِي قَلْبِي الْاَمَلُ.

نابل في 1989/8/10

## مَذْهَبٌ ...

الحبُّ ديني، والجمالُ عقيدتي  
والطُّهُورُ خُلِّي، والعفافُ حبيبِي،  
والجدُّ سيفِي، والطُّمُوحُ مطيَّتي  
والحقُّ عدلي، والضَّمِيرُ رقيبِي ...

تونس في 71/7/8

## عَيْنَانِ ...

وعَيْنَانِ مِثْلَ عَيُونِ الْغَزَالِ  
رَأَيْتُهُمَا عِنْدَ شَدِّ الرِّجَالِ  
أَثَارَتَا فِي مَهْجَتِي كُلَّ حَسٍّ  
وَأَنْزَلَتَا مَعْنِي فَيْضَ الْخِيَالِ

هبيرة في 1974/3/4

## أَبِي ...

أَرَى وَجْهَكَ فِي وَجْهِ الرِّجَالِ  
وَأُبْصِرُكَ رَغْمَ بَعْدِ الْمَجَالِ  
وَأَذْكُرُكَ يَا أَبِي كُلَّ حِينٍ  
فَيُرْسِمُكَ الْحُبُّ عَبْرَ الْخِيَالِ ...

طرابلس في 1978/12/15

## - قصائد قصيرة -

شعر : التهامي الهاني

1 - ساعة في الجدار :

3 - سراب :

هَذَا حَرِيقُ صَوْتِي،

هَذَا بَدْءُ الْإِنْتِهَاءِ،

أَتَسْمَعُنِي .. ؟

خُذْ مَا تَشَاءُ ..

حُلْمِي ،

وَمَا حَوْتُهُ الْقَصَائِدُ ...

بَيْتِي،

وَمَا تَضُمُّ الزَّوَايَا ..

صَدْرِي،

بِلا حِكَايَا ..

وَأَمْهَلُ قَطَارَ الْإِبْتِدَاءِ ...

؟ - سؤال :

سَأَلْتُ النَّسَاءَ،

عَنْ امْرَأَةٍ،

مَا وَلَدَتْ ذَكَرًا ...

عَنْ أُمِّ،

تَعِيشُ الْوَحَامَ ،

وَفِي بطنِهَا،

تَكْبُرُ الْمَقْبَرَةُ ...

فِي الصَّبَاحَاتِ الرَّيْثَةِ،

فِي مَسَاءَاتِ الْوَهْنِ،

فِي لَيَالِي الشَّوْقِ،

فِي مَرَيَا الرَّسْنِ،

أَلْعَنُ الدُّنْيَا الْحَزِينَةَ،

وَمَتَاهَاتِ الزَّمَنِ ...



## ما الفلسفة ؟ اشكالية السؤال لدى هيدفور

بقلم : محمود البش

تمهيد : بهذا السؤال نمسّ موضوعا واسعا جداً، لأن الموضوع واسع ولأنّي بغير تحديد ففي مقدورنا أن نتناوله من خلال أكثر وجهات النّظر اختلافاً ... إنّنا عندما نسأل ما هذه الفلسفة فنحن نتكلّم عن الفلسفة، أي ب..... عنها، وتساؤلنا بهذه الطريقة يضعنا في موقف عال عن الفلسفة بينما الهدف من سؤالنا هو أن ندخل في الفلسفة.

مرتان هيدفور (ما الفلسفة ؟)

السؤال الثاني .....

لعلّ السؤال الهيدفوري هنا مركزي من حيث طرح الإشكال المتعلق بالسؤال عن الفلسفة إذ في الوقت الذي أشار مواطن كائط منذ أكثر من قرن هذا السؤال مجيباً أنّه ما من فلسفة تتعلّم فقط يمكن تعلّم كيف نتفلسف فإن هيدفور قد أعاد الاعتبار لصيغة السؤال بشكل أكثر الحاحاً جعله محط اختيار بين أن نكون أمام مدخل للفلسفة أو أن ندشن الدّخول في الفلسفة تطارحاً فلسفة صيغة السؤال. الدّافع أنّ هناك إجابة كان قد تزعمها هيقل تؤسس لفلسفة تاريخ تكتبه الإيديولوجيا التي وعت درسها في أعلى تجليات العقل المنطقي المفهومي الفلسفة بالتّعريف، حيث توصلت إلى الوعي بذاتها معرفة في مشروع العقلانيّة فهي الفكرة في ذاتها وخارج ذاتها.

في هذا الإطار وعبره يأتي الإشكال الهيدفوري لكي يفكك ضمنيّات الأطروحة الهيقيلية ولكي يكشف ما تحتوي من محرّكات أيديولوجيّة ترى التاريخ مساراً وحيداً لعقلانيّة تتبلور عبر محطات تضع عقل الحداثة غايتها. تبشّر بتاريخانية هي أيديولوجيا اختارت ذاتها حينما نظرت للتاريخ وأعيا بذاته له إرادته وغاياته وهي لم تلبث أن ولدت أيديولوجيا بديلة تغذت من أزمة رهانها وبرهانها وبشرت بنهاية التّاريخ. (1)

السؤال عن الفلسفة أم عن التفلسف ؟ عن فلسفات أو فلسفات لا تتعرف إلى ما يجمعها إلا عبر احتكام إلى التفكير في الذات والتزامن ضد العقل / السلطة والسلطة / العقل الكلياني المباهي المجمع الموحد بدرس يرى في الاختلاف خطرا وفي النسبة عدوا ؟ ذاك أشكال هيدقور وهذا اختياره ينطقه إذ يقول (أنّ الهدف من سؤالنا هو أن ندخل في الفلسفة وأن نقيم فيها فنملك وفق طريقها أي ان نتفلسف) ولندع هيدقور يوضح أكثر :

## 1 - حجة الرفض للفلسفة / التاريخ

في أحد النصوص المتعلقة بماهية الفلسفة يلاحظ هيدقور أن السؤال عن ماهية الفلسفة كان موضع إجابة منذ أرسطو بل وتستطيع الإجابة الأرسطية أن تفسر ما سبق وما لحق ضمن محاولة الإجابة عن سؤال ما الفلسفة في الإستميا الاغريقية (2) كما لاحظ أيضا أن هذه الفلسفة بقيت هي نفسها من أرسطو إلى نيتشه (3) لكن بإمكان المرء أن يقف مع ذلك في حدود الإشكالية دوما لماذا ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أ - كون السؤال بقي قائما رغم الإجابات المختلفة والتي لم تكن تمثل في الحقيقة الإخطابات متعلقة بشروط إمكانها الإبتيمية ومواقف المفكرين الذي حاولوا طيلة الألفي السنة الفاصلة بين ظهور الحكمة بشكلها الطبيعي الأخلاقي (4) وبين مظاهرين مقارنة الجواب في المرحلة المتأخرة من الاستيميا الحديثة أي في القرن XIX هل يعني ذلك أن الفلسفة بقيت نفسها ؟ نعم يجيب هيدقور فهناك ناظم موحد هو الموقف التفكيري والحضور فالتحولات (ما هي إلا ضمان للقرابة والنسب في الفلسفة نفسي) وكذلك يمكن للجواب أن يكون بالتّفي، فالجواب الأرسطي والأجوبة التروسطية والعقلانيات الكبرى الحداثة (5) حتّى الوصول إلى الجواب النيتشوي الذي يعيد النظر في جنياولوجيا السؤال عن الفلسفة لم تكن في نهاية المطاف إلا أجوبة ارتبطت بأنساقها وشروط إمكانها الثقافية لذلك لا نبحث كثيرا عن



الفوارق الجوابية فهي بيئة في ذاتها ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك.

ب - كون تعدد الإجابات على السؤال بالفلسفة ؟ يوقفنا على اختيارين :  
أما أن نقبل بكون السؤال وجد إجابته من خلال كل هذه المدونات المتنوعة  
وبالتالي نعامل الفلسفة بتعريف المنجز المعرفي فنقع في مزلق تعلم  
الفلسفة. أو أن نقف على حدود النسبية والاختلاف بين مختلف خطابات  
الفلسفة تاريخياً ونتعلم درس ذلك فيصبح السؤال في الفلسفة لا يعنيها  
كما يذهب كانط (إذ أين توجد الفلسفة ومن يمتلكها) بل تعنيها نحن. نحن  
الذين يجب أن نفكر ضمن مرجعيتنا وواقعنا وحاضرنا ومصيرنا. نحن  
من ؟

أهل الجماعة المندمجة في وحدة هوية وتطمح لإضفاء معقوليّة كليانية  
كما فهم هيكل بل معه المدونة البنيوية التي ترى الفرد ذرة تقيم ذاتها ألياً  
في ضوء العلاقة مع الكل الاجتماعي وتنصهر في وعي جماعي يرى في  
الاختلاف جريمة في الذاتية شذوذا ؟

ليس هذا ما يفهم هيدقور ويدعو إليه، فما هي الإشكالية هيدقور إذن  
في تناول السؤال عن الفلسفة ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## 2 - الجواب الهيدقوري ونقد السؤال

إنّ الإشكالية التي ينطلق منها هيدقور تنطق من مرجعية  
فينومينولوجية (6) توجه اهتماماته النظرية والوجودية وهو ما ينعكس  
على فهمه لمسألة الفلسفة، فإذا كان الاختيار الهيدقوري قد أعرض عن طلب  
الفلسفة معرفة معرفة. فإنّ ذلك يفترض نقد ومراجعة طريقة السؤال  
لنجعله قابلاً لصياغة جديدة : ما التفلسف ؟ إن هذه الصياغة الجديدة تحقق  
مهمة البحث عن ما هيئتها كتفكير فعلي ذاتي صادر عن الوعي بالوجود من  
قبل ذات أنطولوجية وقفت على حدود التناقض ووعت بالجهل ولم تجد حلاً  
في كراس المعلم على حد تعبير مارلوبوتني. ذات تواجه مصيرها بقلق

أنطولوجيا لأنها تستشعر مسؤولياتها المستمدة من كونها واعية.

لذلك استهل هيدقور مشروعه النظري بهدم المفهومية التي كانت تتطور فيها الفلسفة الحديثة وخصوصا مسألة الذات / المفكرة المجردة من كل أساس أنطولوجي التي طرحها ديكارت. فآزمة السؤال الفلسفي الحديث كما فهمه هيدقور هي آزمة الربط بين الفلسفة والمعرفة وبالتاريخ لاحقا على يد ميقل بالشكل الذي غيب الكينونتي عمقها الوجودي وحنط الوعي في قوالب الإدراك المفهومي المنطقي للعقل، صحيح أن ذلك طور العلوم وأتاح وظيفياً التقنية بل وصحيح أن التاريخ أتاح استخراج قوانين وآليات النظام الاجتماعي وأسس لفاتية اجتماعية لها دورها في تأسيس المجال السياسي الحديث والمعاصر ولو على أرضية كلياتية لكنها نسبت للإنسان مركز الكينونة (لهذا السبب سيعتبر هيدقور هيقل آخر اليونانيين إذا صح أن اللوغوس هو ذلك الفكر الأصلي لليونانيين الذي تجاسر هيقل لتوسيعه إلى علم تاريخ كما لو أنه يبتغي إتمامه) على حد تعبير غادامير.

إن سؤال هيدقور حول فينو مينولوجيا العقل كان مخصصا بأكمله أو بكامله لمهمة مواجهة الفاتية الأنطولوجية الهيكلية المنزلة تنزيلا منطقيا في مسألتي الكينونة والزمن، لقد نظر هيدقور إلى الوعي من نفس المنظار الذي تظر منه إليه هوسرل في مينومينولوجيا الوعي المتعالى الذي يحيي الوجود والإدراك من وجهة نظر الذات وكذلك من وجهة كياركيجاردا ونيشثا الذي فكك آليات الخطاب الحديث وكشف ما فيه من اغتراب وتعسف على الأساس الأنطولوجي لكل معرفة ولكل ميتافيزيقا ولكل أخلاق أي الإنسان = هذا الإنسان الذي فيه من إرادة إرادة القوة ومن الدوافع الحيوية كما فيه أيضا من القلق ما يوجب عليه أن يطيح بمعرفة متعالية وخطاب لا يأخذه في الحساب / ينساه بما هو موجود في أنيته ويغرقه في ميتافيزيقا تقليدية التأمّل واللغة.

هيدقور هنا أيضا يمشكّل السؤال عن الفلسفة : إذ أن تحليل الأنية Da sein هو الموضوع الذي جعله هيدقور جواب الإشكالية في كتابه الرئيسية "الوجود والزمان" Sein un Zeit فالفلسفة الكلاسيكية كانت تقتصر على

تسجيل أن الإنسان موجود دون أن تحلل هذا المعنى بدعوى استحالة هذا التحليل لأن الوجود أعد المعاني وما هو أعم لا يندرج تحت صفة تخصص هيدقور ينكل ذلك بل ويعتبر تحليل الوجود المسألة الفلسفية الكبرى لأنه ليس تحليلًا يمكن من فهم المجال الذي يمكن أن توضع فيه مسألة الوجود فقط بل هذا الفهم هو نوع وجود الإنسان نفسه والذي يدور حول الأسئلة التي طرحها كيار كيجارد : من أنا ؟ وكيف دخلت هذا العالم ؟ وما معنى العالم ؟ اذ على ضوء الجواب أتأكد أنني أمام إرادتي لأنني سقطت في هذا العالم وسقوطي هو الذي حدّثني، فأحقق تجاوز هذا التحديد وهو ما يجعل المستقبل أهم لحظات الزمان عند هيدقور فالإنسان في سياق مستمر مع نفسه من أجل تحقيق الإمكانيات التي ينطوي عليها وجوده. هنا يثير هيدقور الجانب الأكثر خطورة في موقفه المتعلق بالوجود في العالم : هذا الوجود مع الغير Mit Dasein الذي يزيّف الوجود الحق حينما يجبرني الآخر على أن أحيأ مثله وعلى غراره ممّا يهدّد فرديتي وكيونتي وفي ذلك إهدار لحقيقة الإنسان. لماذا يفعل الإنسان ذلك ؟ هروبًا من القلق يجيب هيدقور، وهو القلق الذي تفتح نافذة على العدم. صحيح أنني أعيش مع الآخرين لكنني أموت وحدي. هذا القلق حسب هيدقور الخابي لأنه يوقظ فينا السؤال عن الكينونة وهو أول الأسئلة الفلسفية لأنه أعمقها بل مؤسسها..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## المراجع :

- (1) ما الفلسفة هيدقور - غاليمار - السؤال II
- (2) هيدقور وتاريخ الفلسفة غادامير ترجمة جورج أبي صالح الفكر العزلي المعاصر عدد 58 - 59
- (3) دراسات في الفلسفة الوجودية : عبد الرحمان بدوي : دار الثقافة بيروت لبنان ط 3 - 1973
- (4) قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر : محمد علي الكبسي ط 1 - 1989

## كلمات منثورة

### للإستاذة : البشير المجدوب

الجود الحق أن تحسن، وكأن لا وزن ولا قيمة لما تعطي، على  
نفاسته وعظم شأنه، بل قد أتحت نفسك بما أعطيت، هدية منك  
إليك، فإذا المال قد تحوّل وتسامى، لما تجد من لذة العطاء،  
وسعادة التعاطف والإتحاد بالمحسن إليه.

\* \* \*

ما أتفه بعض الحياة ... كثيرا من وجوه الحياة في عين  
الكرام!  
وما أغلى أيّ حياة عند اللثام!

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

أفة الحب الأبوي ومأساته، في أن، أن الوالد يأبى أن ينحت  
ولده على مثاله، ويصوغه بمشيئته، فيؤيه ويؤذي نفسه معا ..  
أذى بالغا، إذ يتحدّى، وإعيا أو غير واع، سنة الطبيعة،  
ويستهين، سخعا وجهلا، بحرية الإنسان .

\* \* \*

العزلة إختناق ! العزلة قحط وجذب تذوي به النفس فتموت.

\* \* \*

بعضهم يتخذ نفسه وقودا، لايني يؤججها ويذكها حتى ليكاد  
يفنيها، همة وحماسا، تطلعا واندفاعا، سعيًا وكدحا، ولا رفق ولا  
هواة ... فعل اللدود بها، قسوة وإيلاما ...  
وبعضهم همّه ووكده أن يصرف عنها كلّ مضايقة وإزعاج ...

كالقط المدلل الناعم المترف، لا يزال يمسحها، ويربت عليها  
ويلطفها، وغايته القصوى أن تهناً وترتاح، رضى عنه وقبولا.  
\* \* \*

كأنني بزمانك ... زمن العرب هذا يقول هاتفا بك، معنفا إياك  
! (تضائل ! تضائل ! تقاصر يا مسكين لتعيش !).  
\* \* \*

أن تموت وأنت بالحياة، فتنظر ولا ترى وتسمع وأنت أصم،  
وتتجاهل وتتغافل وأنت كئيس لبيب، فطن بصير ... ذاك وجه  
السَّلامة من النَّاس !  
\* \* \*

أنا ضعيف فقير ... تافه مهين، لكن ما أقواني بالله، وما  
أغناني بالله، وما أعزني بالله !.  
الإنسان ظمأ وشوق، شعور بالنقص دائم مستجد لا ينتهي،  
جوع متولد في كل حين لا يشبع ولا يرقوي ...  
الإنسان هو هذا الفراغ الحي، والخواء النابض الجياش الذي  
أبدا لا يمتلي ...  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وفي هذا التوق لا ينضب إلى أن يكون، ولا كَوْن ... إلى أن  
يكتمل، ولا اكتمال ... إلى أن يقترب أكثر بأكثر، أدنى فأدنى  
من الله ...

في هذه الخصاصة المبدعة الولود، والعوز المتفجر الخلاق  
عنوان إنسانيته وخلوده، وبرهان عظمتة "ألوهيته".

إجعل الحمد والتكبير قوتك والشراب !.

## منهج الاعتدال في التشريع الإسلامي

بقلم الأستاذ : المنذر النجار

إنَّ من المسائل التي شدَّتْ اهتمام العالمين والباحثين واقتطعت حيزًا كبيرًا من دراساتهم وبحوثهم مسألة الاعتدال في الدين، وإن كان الموضوع قد تمَّ الحسم فيه اتفاقًا على أنَّ التعاليم الإسلامية قامت منذ نشأتها على السماحة والاعتدال والتيسير في كلِّ أحكامها وأنَّ المشقَّةَ عنها زائلة من منظور التشريع، فإنَّ تجاوز التنظير والقول إلى ناحية الفعل والتجسيم قد شوَّهَ هذه الحقيقة لدى البعض فشذَّ جملة عن هذا المبدأ وحاد عن الطريق السمحة وبان بعيدًا عن الخصيصة التي من أجلها شرع الدين وعلى أساسها قام التشريع وهي جلب النفع للإنسان ودرء المفسدة عنه. ومعلوم أنَّ أولَّ من تحدَّث في هذا الباب الشيخ العزَّاز بن عبد السلام الذي أفرد لهذه القاعدة كتابًا سماه "قواعد الأحكام في مصالح الأئمة". وإذا علمنا أنَّ الأفعال مهما تنوعت في سَلَمِ الحياة لا تخلو من احتمال المصلحة المفسدة في الآن نفسه وأنَّ المصلحة المحضة أو المفسدة المحضة غير معتبرة عادة كما قرَّر ذلك الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات، وإذا شاء قدر الله تعالى أن تختلط المصالح بالمفاسد كان دور العقل في استنباط الحكم الشرعي يتمثل في استجلاء ما غلبت المصلحة فيه فيباح شرعًا أو يفرض أو يستحبُّ أو ما غلبت المفسدة فيه فيكروه أو يحرم بحجم المفسدة التي تعيَّنت فيه، إذا علمنا ذلك فإنَّ ما نقرُّه أنَّ وسائل النَّاس لمصالحهم الدنيوية المشروعة قد تتغيَّر بتغيَّر الزمان «فإذا لم يعتبر منها إلَّا ما وقع له نظير في عهد التنزيل وقفنا من الأعمال عن محيط ضيقٍ وحيل بيننا وبين التفكير في تيسير سبل العيش لذلك لا بدَّ من التوسُّع في التشريع بمراعاة شواهد الشريعة العامَّة وهذا من محاسن الشريعة» (1)

فالتوسُّع في التشريع كفيل بتيسير سبل العيش، والتيسير أداة ضامنة للاستيعاب مفهوم التشريع إذ هو ركيزة حتمية وسمة أساسية تجعل

منه تشريعاً مرناً الجانب ميسور الفهم سهل التطبيق والتنزيل، أما الإنكفاء إلى أستخراج الأحكام للوقائع المستحدثة في عصر من العصور بقياسها إلى مآلها نظير في عهد التنزيل فقط دون التوسّع فيها بمراعاة المقاصد الأساسية والشواهد الكلية مدعاة إلى التضييق في التشريع والتحرّج في الدين والتشديد على الخلق ودفع المشقة إليهم دون رفعها عنهم ويخرج بها عن موضع الاعتدال إلى التطرّف والغلو.

إنّ رفع الحرج عن النّاس اعتبر من الأصول العامة المقطوع بها ومن المبادئ الأساسية الكلية للشريعة الإسلامية سواء كان الحكم منصوباً عليه صراحة أو مستنبطاً بواسطة الفقهاء والمجتهدين إذ أنّ خاصية شرعة الله الاعتدال وشأنها الرفق بالنّاس يقول الشاطبي «إعلم أنّ الحرج مرفوع عن المكلفين لوجهين :

أحدهما : خوف الإنتقطاع من الطريق، وبغض العبادة وكراهة التكليف، وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد على المكلف في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله، وذلك لأنّ الله وضع هذه الشريعة خفيفة سهلة معتدلة حفظ فيها على النّاس مصالحهم.

والثاني : خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع مثل قيامه على أهله وولده إلى تكاليف أخرى تأتي في الطريق فإذا أوغل الإنسان في عمل شاق قريباً قطعاً عن غيره ولا سيما حقوق الغير التي تتعلق به، فتكون عبادته أو عمله الدّاخل فيه قاطعاً عمّا كلفه الله به فيقتصر فيه فيكون بذلك ملوماً غير معذور إذ المراد من الإنسان القيام بجميع وظائفه وأعماله على وجه لا يخلّ بواحدة منها ولا بحال من أحواله فيها (2). إنّ شريعة الإسلام لتنكر على النّاس وقوفهم على أرضية غير أرضية الاعتدال إذ هي وسط بين الإفراط والتفريط، والشطط والتقصير، وهي «مبدأ الإقتصاد في الطاعات والاعتدال في القربات» (3) إذ أنّ الإلتزام بأوامر الله سبحانه أو الإبتعاد عن نواهيه ليس مقصوداً لذاته، فالله غني عن عبادته لا تنفعه طاعة الطّائعين ولا تضره معصية العاصين، وإنّما هو وسيلة تهذيبية وأسلوب تربوي يعود بالنفع والخير العميمين على الفرد والجماعة، والقصد من ذلك كلّ هو إصلاح النّاس في العاجل والآجل وتحقيق الصلاح والأصلح للأفراد، لذلك نجد الرسول صلّى الله عليه وسلّم يعمّق هذا المبدأ في نفوس أصحابه فيزجرهم عن المغالاة في العبادة

والإفراط في الصلاة والصيام والإمتناع عن طبيّات ما أحلّ الله فقال : «يا أيّها النّاس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإنّ الله لا يملّ حتّى تعلّوا وإنّ أحبّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ» (4).

وقد حدّر صلى الله عليه وسلّم من التشدّد في الدين والإيغال فيه دون رفق لأنّه لا يشادّ الدين أحد إلّا غلبه فقال : «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا لأنفسكم عبادة الله فإنّ المنبت لا أرضا قطع ولا ظهر أبقي» (5) وقال «لا صام من صام الأبد» (6) ونهى عليه الصلاة والسّلام عن صوم الوصال (7) وعن قيام اللّيل كلّه وعن الترهّب فقال رادّا على أولئك النفر الذين همّ بعضهم بالمواظبة على قيام الليل وبعضهم بصيام الدهر وبعضهم بآعزال النساء «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أمّا والله إنّني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنّي أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوّج النّساء فمن رغب عن سنّتي فليس منّي» (8) وقال لمن نذر أن يصوم قائما في الشمس «أنعم صومك ولكن لا تقم في الشمس» (9) ثمّ قال «هك المتنطعون والمتنطعون هم المتعمقون المتشدّدون في غير موضع الشدّة - وحكم بعصيان من تمسك بالعزيمة وترك العمل بالرخصة خاصّة في وقت الشدّة فقال «أولئك العصاة، أولئك العصاة» (10)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ونحو ذلك كثير من المأثور الثابت عن النّبّي عليه الصلاة والسّلام يدلّ دلالة لا يشوبها ظنّ أو تخمين على أنّ شريعة الإسلام قائمة كلّها على الرفق، موافقة مع طاقة الإنسان، مقدّرة لطبيعته، متناسبة مع نشاطه وفعاليتّه الإنتاجيّة ممّا يجعل العباد معترفين أبدا بنعم الله عليهم «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبّات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنّيا خالصة يوم القيامة ...» (11)، فالإسلام دين الإقتصاد والرفق ودين العدل والإعتدال ودين التوسّط في الأمور كلّها وبحسب العادات بلا إفراط ولا تفريط يقول تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيدا» (12) أي جعلناكم أمة عدولا وقال صلى الله عليه وسلّم «خير الأمور أوسطها» قال الشاطبي «والشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه الدّاخل تحت كسب العبد من غير مشقّة عليه ولا أنحلال، بل هو تكليف جار على الموازنة تقتضي من جميع المكلفين غاية الإعتدال كتكليف



الصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة وغير ذلك مما شرع على غير سبب أو لسبب» (13) فالإنسان مطالب بأعمال متعددة لا بد من القيام بها، فإذا تجاوز حد الاعتدال في ناحية فقد تعرض للتقصير في ناحية أخرى أو الإنقطاع عنها فيكون ذلك مدعاة لتوجه اللوم إليه من الله تعالى، كمن يكثر من الطاعات حتى يقصر في حق الزوجة والولد ويهمل السعي لطلب الرزق ولذا يقول صلى الله عليه وسلم : «إني لأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي».

وما نقره أن تحميل النفس من التكاليف ما يشق، يبغضها إليها ويؤدي بها إلى الإنقطاع عن التكاليف جملة ومن أجل ذلك جعل الله الشريعة سهلة معتدلة مزيّنة لقلوب المؤمنين لذلك قال : «وأعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم» (14)

بل ذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك في إرساء مبدأ الاعتدال، فقد تجاوز علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في دائرتها الأفقية وفي إطارها الإقليمي الضيق إلى تكريس علاقات عالمية أوسع مع الشعوب والجماعات غير المسلمة في ظل التوازن والتكافؤ لا تحول في كل ذلك عن مبدأ الاعتدال ولا تزول، فقد احترم عقائد الآخرين ورفض الإكراه في الدين رفضاً باتاً وأعلن القرآن هذه الحقيقة فقال : «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» (15) وخاطب الله سبحانه رسوله بقوله «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» (16) ولهذا قرّر المؤرخون بكل ثبات ويقين أن المسلمين لم يجبروا في يوم شعبا ولا فئة من الناس على اعتناق الإسلام بحال، وقد كانوا قرونا عديدة يملكون من القوة والنفوذ ما يفريهم بذلك لولا سلطان الشرع فوق رؤوسهم ووازع الإيمان في صدورهم وهذا ما حدا بالمؤرخ الأروبي «روبنسون» لأن يشهر قلمه ليقول في كتابه «تاريخ شرلكن» إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا من الغيرة لدينهم وروح التسامح والاعتدال نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرنا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا في التمسك بتعاليمهم الدينية».

## دعوة الإسلام إلى الوسطية وتحذيره من التطرف ميزة الإعتدال فيه :

إن الإسلام منهج وسط في كل شيء : في التصور والإعتقاد والتعبّد، في الأخلاق والسلوك في المعاملة والتشريع، وهذا هو منهج الله الذي سمّاه في كتابه "الصراط المستقيم" وقد تميّز هذا المنهج عن مناهج أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى من المغضوب عليهم والضالين بكونه منهج الإعتدال في حين لم تخل مناهج الآخرين من غلو أو تفريط، فالوسطية هي إحدى المعالم الرئيسية في شريعة الله التي ميّز بها أمته عن غيرها فقال: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا...» فهي أمة العدل والإعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل أنحراف عن خط الوسط المستقيم، والوسطية بالتالي قيمة أساسية لها جذور في أعماق تاريخ الفلسفة الإنسانية حتّى حاول بعض الحكماء أن يجعل كل فضيلة بين رذيلتين، فهذا صاحب كتاب "البخلاء" يرد له نص في ذلك : حدّث يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : «يجب للرجل أن يكون سخيّا لا يبلغ التّجذير، شجاعا لا يبلغ الهوج (الحق والطيش) محترسا لا يبلغ الجبن، ماضيا لا يبلغ القحّة (قلة الحياء)، قوّالا لا يبلغ الهذر (أكثر من الباطل)، سموتا لا يبلغ العليّ (العاجز عن الكلام) حليما لا يبلغ الذلّ، منتصرا لا يبلغ الظلم، وقورا لا يبلغ البلاء، نافذا لا يبلغ الطيش (الخفة والترف)» (17)

فيقدر أستقرار المرمّ للادلة النصية بقدر ما يثبت لديه ثبوت اليقين ويبلغ عنده مبلغ القطع أنّ شريعة الله تلجّ على مبدأ الإعتدال وتحذّر من التطرف الذي يعبر عنه بلغة النصوص بعدة ألفاظ منها "الغلو" و "التنطّع" و "التشديد"، فحكم الإسلام عن التطرف والغلو والتشديد فرع عن تصور مآسيها وتأثيرها في الحياء عن مبدأ الإستقامة والعزوف عن موضع الإصلاح والصالح، وفي ذلك شرّ مستطيب حدّر منه الرسول الكريم أشدّ الحذر فقال : «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين» (18) والمراد بمن قبلنا أهل الأديان السابقة وخاصة أهل الكتاب وقد خاطبهم الله تعالى بقوله «قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبّعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيرا وضلّوا عن سواء السبيل» (19) وإن سبب ورود الحديث ينبّهنا إلى أمر جد مهمّ وهو أنّ الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثمّ

تتسع دائرته ويتطاير شرره، وذلك أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين وصل إلى المزدلفة في حجة الوداع قال لابن عباس «هَلُمَّ الْقَطْ لِي بِعِضِ الْحَصِيَّاتِ (ليرمي بها في منى) قال: فلقطت حصيات من حصى الخذف - يعني حصى صغاراً مما يخذف به - فلماً وضعهنَّ في يده قال : نعم بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو في الدين ...» (الحديث) وقال الإمام ابن تيمية : قوله «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو في الإعتقادات والأعمال والغلو مجاوزة الحد ... والتصارى أكثر غلوًا في الإعتقاد والعمل من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن بقوله تعالى : « لا تغلوا في دينكم» وروى أبو يعلى في مسنده عن أنس ابن مالك أَنَّ رسول الله (ص) كان يقول « لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد عليكم فإنّ قوما شدّدوا على أنفسهم فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات » رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» (20).

ومن أجل ذلك قاوم النبي عليه الصلاة والسلام كلّ اتجاه ينزع إلى الغلو في الدين وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد مبالغة تخرجه عن حدّ الاعتدال الذي جاء به الإسلام ووازته به بين الروحية والمادية ووفق بفضلها بين الدين والدنيا وبين حظ النفس من الحياة وحقّ الربّ في العبادة التي خلق لها الإنسان، فالتعصّب المقيت الذي يشبّ فيه المرء نفسه وينكر آراء غيره من دلائل التطرّف حقاً ويزداد خطورة عندما يراد فرض الرأي على الآخرين بالعصا الغليظة، وهذه العصا قد لا تكون من حديد أو خشب وإنّما تكون بالإتهام بالإبتداع أو بالإستهتار بالدين أو بالكفر والمروق وذلك أشدّ ضراوة وتخويفاً من الإرهاب الحسّي، فمن النّاس من أسرفوا في التكفير فكفّروا النّاس أحياء وأمواتاً بالجملة رغم أنّ تكفير المسلم أمر خطير يترتّب عليه حلّ ماله ودمه، لهذا حذّر انبي (ص) من الإتهام بالكفر وشدّد التحذير، ففي الحديث الصحيح «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فما لم يكن الآخر كافراً يبقين تردّ التهمة على من قالها ويبوء بها» وفي ذلك خطر جسيم، وعصم دمه وماله وإن قالها تعوذاً من السيف فحسا به على الله ولنا الظاهر، ومن ثمّ أنكر عليه الصلاة والسلام غاية الإنكار على أسامة حين قتل الرجل في المعركة بعد أن نطق بالشهادة فقال : قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ قال : إنّما قالها تعوذاً من السيف ، قال : هلأ شققت قلبه ؟

ماذا تصنع بلا إله إلا الله؟ قال أسامة : فما زال يكررها حتى تمتّيت أني  
أسلمت يومئذ فقط » (21)

إنّ من دخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلاّ بيقين مثله لأنّ اليقين لا يزول بالشكّ، والمعاصي لا تخرج المسلم من إسلامه حتّى الكبائر منها، فكلّ الشبهات التي استند إليها الغلاة في التكفير مردودة بالمحكمات البيّنات من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلّم وهو فكر فرغت منه الأمّة منذ قرون إذ اعتبر الخوارج قديما تارك شيء من الأعمال أي فعل الواجبات وترك المحرمات وإن كانت من الصفات كإفرا فجاء هؤلاء يجدونه. وبعد، إنّ الاعتدال أصل أساسي وقيمة ثابتة في حياة المسلمين أعاره الإسلام العديد من اهتماماته لأنّه لا حضارة بلا اعتدال ولا رقيّ بلا تسامح ولا استقرار بلا أمن واحترام : أمن النفس واحترام الفكر والرأي، أمّا الغلوّ والتشديد فإنّه مدرجة إلى التطرّف، الإسلام على عذر الاعتدال ثمّ أغنية آمالنا نتعصّب إليه أشدّ التعصّب، وهو محطّ رحالنا نستقرّ إليه شديد الاستقرار، فالإنتقال من الاعتدال إلى التطرّف ومن الرحمة إلى التمسير ومن الرفق إلى التشديد والتعصّب لا يمكن أن يفرز سوى الخلاف دون الاختلاف إذ الاختلاف رحمة ومجال واسع للإثراء والتثقيف أمّا الخلاف فيستحيل عنفا يقضي على الأخضر واليابس والإسلام منه بعيد.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- 1- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور - مقاصد الشريعة الإسلامية ص 29
- 2- الشاطبي - الموافقات ج 2 ص 122
- 3- القرافي - الفروق ج 1 ص 63
- 4- أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك من عائشة
- 5- رواه أحمد في مسنده عن أنس
- 6- رواه مسلم من عائشة
- 7- صوم الوصال - هو متابعة الليل للنهار صياما
- 8- رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أنس
- 9- انظر لفظ الحديث في نيل الأوطار ج 2 ص 242 (رواه البخاري وابن ماجه وأبو داود عن ابن عباس
- 10- رواه مسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله جامع الأصول
- 11- الأمارف 32

البقية ص 54

## على هامش القرن الخامس لسقوط غرناطة

مدخل إلى نكته أسماء وألقاب الاعلام  
«الارنوماستيكا» الاندلسية في تونس

بحث : محمد بن الأصغر -المحامي-

لقد سبق أن تعرضنا في الفصل الأسبق، المتعلق «بالارنوماستيكا» المتوسطة (نسبة إلى البحر الأبيض المتوسط) إلى اللقب الواقع علينا من الأندلس بصفتها لقباً إسبانياً أن «مايوركيّا» وقد لاحظنا أننا نرجي الحديث عن اللقب الأندلسي واللقب (الموريسكي) إلى الأبدان، ... وفي هذا الفصل نتجيز ما أمكن من ذلك ... (1)

يقول الدكتور: أحمد الجليل ابن الخوجة : «وما إن أخذ سلك المدن والشعور الجنوبية الأندلسية ينقرط حتى ركب البحر أفواج مهاجرة في حركة دائمة طالبت ألباناً وشهورة وأخرج فيها إجماعات من عامة الفلاحين ورجال صناعات وأهل علم ونسبة مثقفة ... فركن قسم من هؤلاء وأولئك إلى المغرب وضاق بالمقام به جمهور كبير بسبب ما كان يهزّ من فتن واضطرابات فاتجه قسم منه إلى المشرق نحو الديار المصرية والشامية والحجازية وبقي القسم الأخير وهو كبير وكثير بإفريقية وفي البلاد التونسية متوزّما بين أطرافها مستبد لا بالأهل أهلاً وبالأوطان أوطاناً ...» (2) ومن نفس المصدر نستخلص بعض منازل الأندلسيين بإفريقية وبالبلاد التونسية وهي : «... بجاية وقسنطينة والقيروان وبسكرة وتوزر وطرابلس ...» (3) وقد اقتصر الشيخ ابن الخوجة على العلماء لأن العامة كانوا قد قصدوا أماكن أخرى فلقد ذكر البحاث حسن حسني عبد الوهاب ما يلي : «كان اللاجئون من العائلات الغنيّة المتعدّنة استقروا في العاصمة ... وهذا ما حدث لعائلات : ابن خلدون وابن عصفور وبني سعيد وغيرهم ...» (4) ثم يقول ليصل إلى الحديث عن طبقة عامة من الأندلسيين الذين قدموا إلى تونس : «وفي سنة 1016 هجرية - 1609 م، وقع طرد جلّ المسلمين

من اسبانيا ممّا جعل أفواجا كبيرة منهم تتّجه إلى تونس بقصد الإلتجاء والإستقرار ... .. تجد فيهم السيد إلى جانب العامل والفلاح ... (4) ولقد قامت السلطة التونسية بتصنيف الأندلسيين وجعلت منهم طبقات ووزعتهم على أماكن مختلفة من البلاد : «الصف الأول من أهل المدن المتأززين، أي العلماء والأغنياء والموظفين، فقد استقر هؤلاء في مدينة تونس في أحياء خاصّة بهم : حومة الأندلس قرب الحفلاوين وزقاق الأندلس في المدينة ... (4) ثمّ يواصل قائلا «أمّا الصف الثاني فيحوى الفلاحين والعملّة وصغار الصنّاع ... في مراكز مثل أريانة والجديدة وطبرية» وهي كلّها تعتبر من أحواز العاصمة ... لكن هناك مناطق أخرى وجد فيها الأندلسيون وهي : «أمّا الصف الثالث فهو من سكّان القرى الأندلسيّة وعدده يفوق عدد الصنفين السابقين ، وقد استقروا في جهة الشمال حيث يقلّ عدد السكّان، فأحيوا أراض على ضفاف وادي مجردة ... وأقام البعض الآخر على أنقاض المدن الرومانيّة القديمة مثل مجاز الباب وتستور والسلوقيّة وقلعة الأندلس ... (4) كما استقروا أحيانا في سهول عامرة وأهله مثل «سليمان وقرنبالية (5) ونيانو وبلّي وغيرها ... (4) ... ويذكر الأستاذ عبد الوهاب أنّ زغوان (4) استقبلت الوافدين من الأندلسيين سواء منهم المسلمين أو اليهود شأنها في ذلك شأن مدينة تونس وسليمان ... (4)

ولعلّ بعض الأندلسيين قد اندمجوا في العنصر التركي اندماجا شديدا ذلك أنّ أبواب ديوان عساكر الحنفية قد فتح أمام غير العثمانيين دون اشتراط للانساب إلى المذهب الحنفي حسبما يفهم ذلك من مقولة الأستاذ توفيق بشروش (6) إذ المهم حسب نفس المصدر أن لا ينخرط الأهالي بسلك عساكر الديوان وقد ذكرنا هذه الجزئية لأنّه ستكون لنا معها عودة على مستوى (أونوماستيكي) أي أن لها تأثيرا على موضوع الألقاب ... ونفهم من كلام الباحث الدكتور محمد الطالبّي أن توافد الأندلسيين على افريقية (تونس) لا يمكن حصره في قنوات ومناسبات محدودة ومعنيه حيث يقول : «... لقد ارتفع بدون ريب عدد الجالية الأندلسيّة بإفريقية ارتفاعا كبيرا أثر حوادث ربح قرطبه، أيام الحكم الأول (180 و 206 هـ / 796 و 822 م) ... وأفضت عن اجلاء عشرين ألف (20.000) عائلة ... فنزح هؤلاء نحو فاس ... وتابع البعض الآخر السير حتّى الإسكندرية ... ونحن لا

نشك أن كثيرا من هؤلاء اللّاحثين قد استقروا بالقيروان وبإفريقية بصفة عامة (7)

وبهذا نفهم أن التواجد الأندلسي شديد وقوي بالبلاد التونسية وأنه قد كان له تأثيرات ما على المستوى (الاونوماستيكي) أي على مستوى الألقاب العائليّة ... ..

ويحسن أن ندرس عينات من الألقاب الأندلسيّة حتّى نبحث في مدى انتشارها بالقطر التونسي.

### بنية اللقب العائلي الأندلسي

لقد اخترنا في سبيل اختيار مقارنة علميّة وعملية لطرق هذا الباب وكان الحلّ بالإنطلاق من كتاب اعتبرناه عيّنة ذات صبغة وبعد تمثيلي حقيقي أو تقريبي للألقاب العائليّة الأندلسيّة وهو قلائد العقيان (8) فهو من تأليف أبي النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الملقب بإبن خاقان وقد اخترنا تحقيق سماحة الأستاذ الإمام الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور لما يعرفه عنه العام والخاص من تبهر في فن التحقيق، أفليس هو صاحب «التحرير والتثوير» رحمه الله وأجازاه خيرا عن الأمة الإسلامية ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فما هي مميزات اللقب العائلي الأندلسي ؟  
هناك أسباب تجعل اللّقب العائلي بدون دلاله خاصّة لعلّ أبرزها ما يلي  
بيانه من الظواهر :

### 1) الإسم العلم كلقب عائلي

أنه من جملة أربعة وستين (64) لقبا عائلياً يخص الرؤساء وأبنائهم والوزراء فقر (كذا) الكتاب والبلغاء والقضاة والعلماء والأدباء وفحول الشعراء نجد أربعين (40) لقبا هي أسماء أعلام على غرار، ابن محمد وابن عمار وابن سفيان ومنهم الأعلام الآتي ذكرهم، المعتمد على الله أبو القاسم بن محمد بن عبّاد (9) وأبو عبد الرحمان محمد بن طاهر (10) ... .. وأبو بكر بن عمار (11) وأبو محمد بن القاسم (12) وأبو بكر بن عطية (13)

وباقى بن أحمد (14)  
وهذه الظاهرة تجعل أمام الباحث صعوبة في معرفة أصل اللقب لأنه ليس له ما يميزه ليدلّ على أنّه لقب اندلسي

## (2) الصفات الجسميّة وغير الجسميّة

إنّ طول الجسم وقصره كان مصدرا لألقاب عائليّة أندلسيّة فالباحث لا يهتدي إلى أصل لقب من قبيل ما يلي : أبو بكر بن القصيره (15) أو من قبيل أبو عامر بن الطويل (16) ...  
ومثل ذلك بالنسبة للألقاب الدالة على صفات أخرى معنويّة أو أخلاقيّة وبصفة عامّة غير مستعمدة من الجسم من قبيل أبي عبد الله بن أبي الخصال (17) ...

فمثل هذه الألقاب بإمكانها حجب الألقاب الأصليّة لعلام وبإمكانها بالتالي اتلاف أصول واضحة فابن أبي الخصال الأزدي (18) الأصل ولكن صيغته اللقبية لا تشير إلى ذلك فلنفرض أن أعقابهم قد هاجروا إلى تونس فمن سيهتدي إلى أصلهم الأزدي بعد طول مدّة ؟ ثمّ لو كان لقب الأزدي ملازما لهم فإنّ الباحث سينسبهم مباشرة إلى الأزدي وهو ما يجعل اللقب العائلي لا يحمل أية دلالة أو إشارة إلى المرحلة الأندلسيّة التي سبقت مباشرة الهجرة إلى افريقيّة والبلاد التونسيّة ... وعلى نفس الطريقة لا يمكن الإهتمام إلى الأصل الكلاعي (19) لأبي بكر بن القصيرة ...

ونفس التعليق يكون صالحا إذا اتخذ اللقب العائلي شكلا يدل على مهمّة أو خرقه يدوية (20) وبالنسبة للأندلس نجد ألقابا مثل أبو المطرف بن الدبّاغ (21) وهو حسب تحقيق الشيخ الطاهر بن عاشور ينحدر من سرقسطة (22) أو مثل أبي بكر بن الصائغ (23) الذي قد يكون إياه قد تعاطى حرفه الصائغي (24) ...

ولا تخلو الألقاب الأندلسيّة من عوائق أخرى تعقّد مهمة الباحث الأونوماستيكي، مثل لقبى زرّور (25) وزرّيزر (26) (والثاني تصغير للؤلؤ) وهو إسم لعصفور من نوع الببغاء (27) الذين من شأنهما حجب اللقب الأصلي ...

وفي المقابل فإنّنا نجد بعض الصيغ اللقبية التي تدلّ على الأصل



## (1) اللَّقَب يدلُّ على مدينة أندلسية

من بين هذه الفئة من الألقاب المتكررة نجد لقب الباجي ومن ذلك لقب أبي عمر الباجي (28) وأبي الوليد الباجي (29) ولأنَّ التونسي قبل غيره يتصوَّر أنَّ الباجي هو لقب يحيل دائما على باجة وهي مدينة مشهورة بالشمال الغربي التونسي فإنَّ البحاثه المرحوم حسن حسني عبد الوهاب قد فصل القول في مادة باجة (30) ليبين أنَّها تطلق على باجة القمع (36) وهي بالقطر التونسي وتقع على بعد (100 كلم) غربي تونس، وتطلق على باجة الزيت (32) وتقع بين المهدية والجَم من البلاد التونسية، كما تطلق أيضا على باجة القديمة (33) وقد اضمحلت وتقع في الناحية الشمالية القريبة من مدينة تونس ... وهذه كلها هي باجات افريقية (34) لكن إلى جانب هذه الباجات الإفريقية هناك باجة الأندلس (35)

ومن ألقاب المدن نجد لقب المالقي الذي يدلُّ على مدينة مالقه الأندلسية ومن حامله أبي عبد الله بن الفخار المالقي (36) أو لقب البطليوسي الذي يدل على مدينة بطليوس الذي كان يحمله عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (37) أو لقب المرسي الذي يحيل على مرسية والذي كان يحمله أبو محمد عبد الجليل بن هيثون المرسي (38) أو لقب التطيلي الذي يدلُّ على مدينة تطيلة التي ينتسب إليها أبو جعفر الأعمى التطيلي (39)

## (2) اللَّقَب على وزن «فعلون»

لعلَّ صيغة «فعلون» هي أبرز ما يميِّز اللَّقَب الأندلسي وفي أذن كلِّ تونسي رثين خاصَّ لهذه الصيغة بفضل لقب (ابن خلدون) مفخره تونس والعالم الإسلامي ...

ومن الألقاب التي جاءت على هذه الصيغة هناك ما هو معروف في تونس وهناك ما هو غير معروف.

فمن النوع الأوَّل نجد، ألقابا مثل، ابن زرقون وهو لقب راو للشعر ذكره ابن خاقان (40) وإذا كان هذا اللَّقَب معروف بتونس إلا أنَّه لا يعرف أناس

يحملونه اليوم لكنّه اشتهر لأنّه اسم لنهج له شهرة شعبية نظرا إلى أنّه يحوي سوقا تشفي غليل المستهلك ... .. ولقد كان لذلك النهج مكانه باعتباره قد كان واقعا في محور الحي القنصلي لمدينة تونس وهو من النواتات الاولى للحي الإفرتجي

أمّا النوع الثاني الألقاب التي ليست لها أثر في تونس فهي، لقب ابن زيدون، والذي يحمله أحمد بن عبد الله بن زيدون (41)، ولقب ابن عبدون والذي يحمله أبو محمد بن عبدون (42) وابن عيشون وهو الذي يحمله أبو عامر بن عيشون (43)، ومنه لقب ابن خيرون (44) ومثله لقب ابن وهيون، لحامله عبد الجليل ابن وهيون المرسى (45)

وفي المقابل نجد في تونس لقبا مثل سعدون وهو محمول من طرف عائلات مسلمة ويهودية والعائلة المسلمة ليست معروفة كثيرا ولم نهتد حتّى إلى شبكة المصاهرات التي تنتمي إليها إلا أنّ واحدا من المالكين العقاريين كان يحمل لقب على سعدون عرفته وهو حريف للمعاصمي الأديب المرحوم الطيب العناني (46) على أنّ لفظ سعدون شهير بتونس لأنّه من أسماء احدى أبوابها وهو باب سعدون (47)

## 2) اللقب الدال على الألوان

اللون كلقب غير عزيز على الأندلس فهي قد حكمت من طرف ملوك بني الأحمر (48) ... وفي خبر غير معالج بعمق جاء في دائرة المعارف الإسلامية (49) أن بني الأصفر يطلق كلقب على ملوك اسبانيا أي قبل مجيء المسلمين، وهذا موضوع ينحته في غير هذا المكان ... ..

ونتعرّض الآن إلى ألقاب «الألوان» التي جاءت بكتاب قلاند العقيان الذي اتخذناه كعينة قدرنا أنّها ذات بعد تمثيلي ... فلقد جاء لقب ابن الأخضر وصاحبه هو ابو الحسن بن الأخضر (50) وكان معاصرا لابن خاقان وكانت بينهما مراسلات أدبية وهو يخلع عليه لقبا علمياً هو الأستاذ لكن الشيخ الطاهر بن عاشور لم يعرف بهذا العلم ... .. وهناك لقب ابن أزرق (بدون الألف واللام) وهو العلاء بن أزرق (51) وهو وزير ويميل الشيخ ابن عاشور لاعتباره ممن يقولون الشعر.

## الإحالات

- (1) محمد بن الأصفر - المحامي - «الأونوماستيكا المتوسطية في تونس، مجلة «الإتحاف» عدد 29 ماي وجوان 1991 - اللجنة الثقافية الجهوية بسليانة.
  - (2) محمد الحبيب ابن الخوجة «الهجرة الأندلسية إلى إفريقية في القرن 13/7» مجلة : «LES CAHIERS DE TUNISIE» كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس - ندوة العلاقات التاريخية والثقافية التونسية الإسبانية - الحمامات من 21 إلى 24 مارس 1969 - المجلد 18 - العدد 70/69 - الثلاثين الأولى والثانية لسنة 1970 - ص 129.
  - (3) محمد الحبيب ابن الخوجة - ن م - صفحة 131.
  - (4) حسن حسني عبد الوهاب - ورقات عن الحضارى العربية بإفريقية التونسية، جمع وإشراف محمد العروسي المطوي، القسم الثالث - مكتبة المنار - تونس 1972 - صفحة 264 + صفحة 265 + صفحة 266 + صفحة 267 ...
  - (5) يبدو اسم قرنبالية غربيا فلا هو بربري ولا أندلسي ولا عثمانى ... ولقد أفادنا شقيقنا الدكتور زكرياء بن الأصفر البيطري والمتخصص في علم البيئة الحيوانية أنه تحريف للكلمة الإيطالية COLOMBERIA نسبة إلى COLOMBES بما يوحي أنها تحصل بطير الحمام فلعلها قد اشتهرت في فترة ما بطير الحمام أو أنه قد أريد لها مثل هذا الأمر ... والله ؟ علم
  - (6) TAOUFIK - BACHROUCH : FORMATION SOCIALE BONBARESQUE ET POUVORI A TUNIS AU 17ème SIECLE - FACULTE DES LETTRES ET SICENCES HUMACIRES DE TUNIS - 4ème SIECLE : HISTORIE - VOUME 23 + TUNIS 1977
- PAGE 37.
- (7) محمد الطالبى - «العلاقات بين افريقية والأندلس في القرن الثالث الهجري» LES CAHIERS DE TUNISIE - المصدر السابق ص 37
  - (8) أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي - الملقب بابن خاقان - «قلاند العقيان» صححه وحققه وعلّق عليه، سماحة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس 1990
  - (9) ابن خاقان : ن - م : صفحة 31
  - (10) ابن خاقان : ن - م : صفحة 145
  - (11) ابن خاقان : ن - م : صفحة 201
  - (12) ابن خاقان : ن - م : صفحة 307

- (13) ابن خاقان : ن - م : صفحة 507
- (14) ابن خاقان : ن - م : صفحة 713
- (15) ابن خاقان : ن - م : صفحة 249
- (16) ابن خاقان : ن - م : صفحة 237
- (17) ابن خاقان : ن - م : صفحة 421
- (18) الطاهر ابن عاشور : ن - م : تعليق الشيخ المحقق على اسم (ابن ابي الخصال) صفحة 421
- (19) الطاهر ابن عاشور : ن - م : تعليق الشيخ المحقق على اسم (ابن القصيره) - صفحة 249
- (20) نعتقد فصلا كاملا للالفاظ العائليّة المستفادة من المهن اليدويّة وفيه تفاصيل إضافية عن ظاهرة المهن والحرف اليدويّة كالألقاب عائليّة
- (21) ابن خاقان : ن - م : صفحة 255
- (22) الصاهر بن عاشور : ن - م : تعليق الشيخ المحقق على اسم (ابن الدبّاغ) صفحة 255
- (23) ابن خاقان : ن - م : 723
- (24) الصاهر ابن عاشور : ن - م : تعليق الشيخ المحقق على اسم (ابن الصائغ) صفحة 723
- (25) ابن خاقان : ن - م : 323
- (26) ابن خاقان : ن - م : 324
- (27) الطاهر ابن عاشور : تعليق الشيخ المحقق على اسمي (الزرزور) و (الزريزر) صفحة 323
- (28) ابن خاقان : ن - م : 245
- (29) ابن خاقان : ن - م : 457
- (30) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات : ن - م : ص 424 وما بعد ...
- (31) حسن حسني عبد الوهاب : ن - م : 424
- (32) حسن حسني عبد الوهاب : ن - م : 429
- (33) حسن حسني عبد الوهاب : ن - م : 430
- (34) حسن حسني عبد الوهاب : ن - م : 424
- (35) الطاهر بن عاشور : ن - م : تعليق الشيخ المحقق على لقب (الباجي) الصفحتان : 245 و 457

- (36) ابن خاقان : ن - م : صفحة 703  
 (37) ابن خاقان : ن - م : صفحة 477  
 (38) ابن خاقان : ن - م : صفحة 587  
 (39) ابن خاقان : ن - م : صفحة 655  
 (40) ابن خاقان : ن - م : صفحة 117  
 (41) ابن خاقان : ن - م : صفحة 175  
 (42) ابن خاقان : ن - م : صفحة 347  
 (43) ابن خاقان : ن - م : صفحة 691  
 (44) ابن خاقان : ن - م : صفحة 116  
 (45) ابن خاقان : ن - م : صفحة 587

(46) أدیب ومحام تونسى وديبلوماسى وهو من مؤسسى اتحاد الكتاب

التونسيين

SLIMANE MUSTAPHA ZBISS - LES MONUMENT DE TUNIS - SOCIETE (47

TUNISIENNE DE DIFFUSION - TUNIS 1971 P 86 - PHOTO PAGE 33.

(48) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - نقله إلى العربية : نبيه أمين

فارس ومثير اليعلبكي دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة 8 - مارس

1979 - بداية من الصفحة 332 وما بعد

(49) دائرة المعارف الإسلامية - الجزء الأول - ودرس مائة (بني الأصفر / ابن

الأصفر / الأصفر) في عدة مواضع أخرى عن تحتنا الأوثومانياتيكي

(50) ابن خاقان : ن - م : صفحة 483

(51) ابن خاقان : ن - م : صفحة 147

بقية ص 45

12- البقرة 143

13- الموافقات ج 2 ص 163

14- النساء 171

15- البقرة 256

16- يونس 99

17- ياقوت الحموي - معجم الأدباء ج 16 ص 111/110

18- رواء أحمد والنصائي وابن ماجه، وقال ابن تيمتة اسناده صحيح على شرط مسلم

19- الحجرات 7

20- ذكره ابن كثير في تفسير سورة الحديد

21- ابن حجر فتح الباري ج 4 ص 212.

## فنون تشكيلية

### مع الفنانة سميرة المهدي

\* \* \*

حاورتها : مسعودة ابو بكر

في رحاب الإتحاف نستضيف هذه المرة وجها معروفا من الجيل الجديد وهي الفنانة سميرة المهدي خريجة مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر عرفت إبداعاتها أروقة عروض عديدة إنطلاقا من الجزائر العاصمة 1987 ومرورا بمهرجان قرطاج فقاعة الأخبار وقاعة الخنساء والعديد من دور الثقافة بالجمهورية.

\* \* \*

س- إلى أي المدارس تنتمين ؟

ج- إن الشيء الوحيد الذي يمكن التأكيد عليه هو إنتمائي إلى العالم العربي بكل ما فيه إنتماء الفنان إلى جراحات وطنه

<http://Archivebeta.Sakly.it.com>

س- مما تنطلق لغتك التشكيلية ؟

ج- من الحياة اليومية والوضع والمناخ والأحداث بجمالها وقبحها وشقاؤها وحزنها الذي يخيم عليها وعلى تفاوت الأدوات والأذواق الفنية.

س- كيف يمكن للفنان حسب رأيك أن يتفرد بلون خاص ؟

ج- معبرة باللون الذي أريده للموضوع المواضيع تتغير لكن الألوان يبقى لها دورها إذ أن الألوان هي ملك الفنان . يمكن له أن يجمع كل الألوان في لون، فالتخصص والتفرد في الألوان (غلط - قيد).

س- هل لك إسقاط فوري لمشاركتك وأفكارك على اللوحة أم أن الصورة تختمر طويلا بفضاء الرؤيا الباطني ؟

ج- طريقة العمل لم تكن محدودة ولن تحدّد ليس هناك عمل مجهول يأتي هكذا، الفنان يعيش والأفكار تتخمر وتتكوّن وتنضج ثم تولد لتعيش على اللوحة.

- س- هل تحلمين برسم جيوكندا بعلامح جمالية جديدة أو " جيورنيكا " أخرى بتعبير يستوحى إلهامه من مأساة أراضينا المحتلة ؟
- ج- ومن لا يحلم بأن يصبح إسما يحفظه التاريخ ؟ الحلم حلو، عالم جميل، ومن حق كل إنسان أن يحلم لكن التمني أقرب إلى نفسي وأنا التي أوشكت على فقدان لذة الحلم .



تمنياتى كبيرة وصعب تحقيقها فطبيعي أن أتمنى تسجيل إسمي على الساحة الفنية كما أن تؤرخ أعمالى . فالفنان يعمل ليكشف نفسه ويكشف للآخرين واقعهم المكتنز خيرا وشرأ .

ومن ناحية أخرى عالمنا نحن كعرب غنيّ جمالا وحزنا وأراضينا تزخر فرحا ودموعا، وكلها مادة تزخر بالإلهام والوحي.

س- ماذا يحقّ لك فنك الجميل هذا ؟

ج- الفن يجعلني أكتشف أشياء عن ذاتي المتخفية أعيشها لكن لا أراها . كما أراها مجسدة على اللوحة في نهاية المطاف .

./.

## عزف منفرد على وتر واحد بقلم : جنّات إسماعيل (بنت القرية)

قالت : تعالى نُنشد أغنية موحّدة  
قلت : قد يعسر الإختيار.. قد يسبقك صوتي..  
قالت : اخلعي عنك كلّ الأصوات ولا تبقي إلا هتاف الربيع فيك..  
قلت : أخاف أن يسطر عليّ الشتاء فيحدث النشاز..  
قالت : سادراً عنك الإرتجاف  
قلت : ولكنك أكثر مني شتاء..  
قالت : الإبحار في الصخر لذتي وعذابي .. فهات يدك..  
.. سنديانة أضلّك.. ورأس مثقل بالتجارب يسند خطوي .. صديقان نحن  
وفي العينين شوق وانشغال..  
قلت : ما الحبّ ؟؟  
قالت : مطر الوجود .. به بورق فنزهر .. فنثمر الفعل الواعي..  
قلت : كانت لي حبيبة تنسكب في شذا وتورا.. منذ ألق العطار  
وحيدا أسافر.. وحيدا أموت.. أم العيال لا تفهم قصائدي..  
قالت : قدرنا العزف المنفرد: إنها الغربة في عقر الدّار صديقي!!  
قلت : كلّ جزء فيّ يصرخ بالتعب .. الأطفال أرهقوني حتّى جنون الإرهاق  
سيّدي لم أفهم.. سيّدي صاحبي يخرج لي لسانه.. سيّدي نسيت كتابي  
سيّدي.. سيّدي وأتمزّق.. أتمزّق.. تتشقق أصابعي.. يبحّ صوتي وأحبهم..  
أحبهم جميعاً..  
قالت : إنّي الطّفلة الضمائي والنهر الذي أوقفوا خريره لما ميّعا ماءه فصار  
قاحلا رغما عن الوجوه المتلبّسة بالموت نما اخضرار على شفّتيه..  
قلت : إنك الزهرة التي لن تقطف مهما تكاثرت مناجل الحاصدين وإنّي لك  
الماء فأعطني من مائك يا بحر..  
قالت : سمعت أنّهم أطاحوا بالملك ولعبوا لعبة الأضواء والكلمات وما رأيت  
في العرس وجهاً جديداً..  
قلت : إنّي أريدك خارج خارطة تعبني فلا تسقطي في دائرة الموت..  
قالت : إنّي معطوبة والتنفّس بقدر معلوم..  
قلت : ألهث وأتوزّع ألف طريق.. "الشهرية" .. أريد حذاء.. كتاباً.. المؤونة



والحلى للصغير.. فاتورة الماء.. الكهرباء وأنا أريد أن أراني.. أن أخلدني  
بديوان حبٍّ ووجع.. "الشهرية" .. إنني أقبض على الهواء !!! أين طارت ؟؟  
من ابتلعها ؟؟ .. ويختبئ الحلم..

قالت : حزينة أنا حتى اشتعال الآهات.. يستفزني فيستنزفني السواد في  
عيون الأطفال.. الزرع الميت .. البطون الخاوية والنار تنهش الأجساد  
الغضة.. الوردة مفتحة والعويل في المسارب..

قلت : إنهم يفتحون صدري ويشرحون الكلمات  
قالت : يبلغنا ضجيجهم ولن يصلوا القرار الذي يطلبون.. أمثال حوافرهم  
محال أن تطأ الأرض الخصبة..

.. قلت وقالت .. قالت وقلت .. تعرت وتعريت فكانت صور منسية وأحييت  
صور ملونة .. صور في إطار .. صور بلا إطار مبعثرة..

قالت : ما أحلى ريقك في لحظات عريك..  
قلت : ما أبهى الإنسان فيك وما أعظمه في عيون حزنك ..  
قالت : .....

قلت : ثلاث شموع إنطفت وإنك صورة ما اكتملت وإنني قصائد ما قرئ  
كلها فتعالى نتجسم..

.. امتلات المآقي عذوبة.. سقطت ورقة من شجرة قرحي .. كتبت صديقتي:  
"لا تكرري تجربتي حتى لا تسقطك الصفحة"  
بالأخر.. والعال الذي وصلت .. أنني أتحدّق مع الآخر لأنّ في غياب الآخر  
أمتلئ فراغا وخرابا ..

قالت : أخاف العيون..  
قلت : إننا نمشي إلى الأمام وهي في الخلف تحدّق..

قالت : الباب موصد..  
قلت : عالجه حتى يفتح ..

قالت : أتبه في المدينة ..  
قلت : أرجوك لا تحرقى الرّجاء وتحرقيني .. هذا عرس فعلك فأرني بهاءك  
والإنجاز ..

.. تفتّحت الإبتسامات طمأنينة وإصرارا.. إليه سبقني ركب أشيائي إليّ

إوتحل

قلت : وأخيرا بلك لهفتي ..

قالت : ربيع أنا اليوم .. هاك قرنفة من بستانتي ..

قلت : سألت أم العيال عن سفرني المبكر ..

قالت : من هوة أنا بتحقتني واللقيا ..

قلت : تفاحة شهية أنت ..

قالت : رجل شرقي أنت ..

قلت : أحب شهرزاد والشعر ..

قالت : أحب الوطن والإنسان ..

قلت : انظري حبيبتي / أم العيال / أبي .. مات في الحرب ويده تمسك

المحراث / ابنتي متزوجة .. في مثل سنك / وهذا شعري ..

قالت : هذه جراحي والالم شمس انبثاق ..

قلت : إنني ألهب ضما

قالت : شفتاك لم تغادر الكأس بعد ..

قلت : أريد أن أراك ..

قالت : ها أنا ذا ..

قلت : إنني أستهيك فلا تحرميني ..

قالت : ما أشنع رغبتك وما أبشع الرجل فيك .. هويت .. هويت ما أنتفك ..

قلت : إنك تفغنين كبرياشي

قالت : لمام جئتك فقد قتلتك في

قلت : سأحملك خرابا وشتاءا

.. وما قالت ..

قلت : سأنثر أوراقك للعيون تأكلها ..

.. وما قالت

قلت : سأحرقك ويرقص شعري على أشلائك ..

.. وما قالت .. فقط وقفت تبكيه .. ثم تقيات باقي أشياءه ومضت نحو

الشمس والإنسان فيها يكبر .. يكبر .. يكبر ..

## الكاتبة القصصية جنّات إسماعيل - بنت القرية -

### - الكتابة إستقالة من الموت -

الولوج إلى عالم بنت القرية مرهق، يحملني جنون الليل إلى كتاباتها فيكون السفر غير السفر .. تنتحر الأشياء العادية ليحلّ محلّها الحزن بكلّ طقوسه .. بنت القرية تستفزّنا ونحن نلاحق خطوات أبطال قصصها وكأنّهم خلقوا من الحزن .. بذكاء شديد رسمت خطواتهم .. حركاتهم المسؤولة فكانت الإنسجام وكان الإختلاف .. فالكتابة عند جنّات إسماعيل هندسة / حرفة / حذق / صناعة ..

.. هي لم تجد سوى قلم يتّيم يهرك بداخلها جنون العطاء .. تفتح صندوق الذاكرة .. تسرق بعض الأحداث وتوشّها بماء الحياة فيكون الإبداع .. وجدت في أعماقها البراءة المفقودة والصدق الضائع ممّا وذلك الفرح المخزون في أحشاء الحزن .. وجدتها طفلة لم تجرّب الإبحار بعد إلى الضفة الأخرى حيث التلونّ والأقنعة ..

.. هي دائمة البحث عن الشيء في الأشياء .. وحدث أن قدناها للبحر / العراء

1) لا نعرف عنك الكثير.. ماذا تحملين بداخلك.. أريد إضافة ؟

\* أظنّ أنكم وجدتم بعضي في ركن أو في شيء من نفحات نصوصي لأنّي أحيانا لا أفارق إلاّ وقد فتحت عليّ نافذة / عريّتي في جانب ما .. ثمّ إنّ النصف في حالات كثيرة لا يخلو من أنفاس صاحبه .. لهائه .. جنونه الشرعيّ واللاشرعيّ ..

.. جنّات إسماعيل - بنت القرية - صوت من الجنوب يبحث عن صدهاء في

رحم من الأصوات المختلفة .. أبحث عن نفسي فيكم .. عن الإنسان بوجهه الحضاري المشرق.. مازلت أؤسس للفرح بهذا من مدن الحزن التي أشتهيها لأبنيني فيها جسدا من جراح وروح متحفزة للذوبان من أجل الآخر أبدا / الوطن.

## (2) لماذا تكتبين ؟

\* أكتب لأنّ الكتابة استقالة من الموت وإنّني التي تنازع الموت الذي يرادني بالف وجه بالكتابة .. كاد يسقطني الاسقاط الشامل لولا هذه البوابة من الضوء / من الاحتراق الجميل التي فتحتها في جدار الليل والسائد المتردي ومن خلالها اعتزمت اثباتي فكرا وذاتا وطموحا - إنّ الكتابة دليل وجودي ..



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## (3) إذن لمن تكتبين ؟

\* أكتب لمن يريد القراءة .. أنا لم يخطر ببالي أبدا أن أحدّد نوعية قرّائي أو أن أبحث عن التصنيفات .. ما يهمني هو أن تصل كلماتي للذي يعيها ويحاول استنطاق مكنوناتها ..

## (4) كيف كانت بدايتك مع الكتابة ؟

\* البداية لا أدري .. أنا التي بدأت القصة .. أم هي التي بدأتني ؟ لأنّ كلّ منّا يولد وقصته بيمينه .. كلّ فرد في النهاية مجموعة حكايات قد شوت معه وقد تزوّج له / للواقع وتكون شهادة له وشهادة عليه إذا ما فجرها فيه هو ذاته أو أحد أبنائه ووطنه المبدعين .. وإنّني اعتزمت أحداث الرجة فيّ وفي كلّ الذي يمتد إليه قلبي من أجل المشروع / الإنسان.

## 5) لماذا القصة بالذات ؟

\* هي القصة نغمي الذي أعزف عليه كل أغنيات الأخرى .. لواعج النفس وشوق روعي القلقة .. وهي الدفعة التي أروي بها ثرى وطني .. بحروفها أنقش صورة الغد .. لهذا ولأشياء أخرى استوعبتني هذه القناة التعبيرية دون غيرها .. ومتى رأيتني قادرة قد أجرب قنوات أخرى .. وقد يخفي القادم المفاجأة .. فالرواية تسكنني جنينا مبعثرا والنقد أصبح يلح فيستهويني .. كيفما كان شكل الكتابة المهم أن لا يبقى البوح حبيسا.

## 6) جنأت اسماعيل بعد هذه الرحلة الأدبية القصيرة ما الذي أخذته من الكتابة القصصية ؟

\* ما الذي أخذته ؟؟ .. إنني حين أجلس إلى أغلب أيام ربيع القرن الذي مضى من العمر أجدني فيها قد جبلت على العطاء وأراني التي تحترق وتعطي تهدد التعب فيها وتعطي من طقوس الدماء والطفولة فيها ورغم ذلك فإنني أحس بأنفاس الحرية تغزوني أكثر فأكثر لأنني لست مديونة لأي كان فإنني الذات التي نحتت نفسها بنفسها حتى حقني الطبيعي في التعليم لم أغنم منه إلا بومضة ..  
.. القصة ضاعفت مخزون تعبتي وخزني وأشغرتني بمزيد المشاركة الوجدانية لوجوه طيبة في وطني.

## 7) ما هي المنابع التي استطاعت أن تؤثر في كتاباتك ؟

\* ليس لي منابع أسستني غير معاناتي والألم وأنا بكل أسف قليلة المطالعة لأن نهاري ليس ملكي .. كم يؤرقني ذلك !!

## 8) والآن إلى ماذا تطمحين ؟

\* أريد أن أكون بالشكل الذي يرضيني .. أريد أن أعيش بكل طقوس صدقي

وأشياء اليوم تطلب التلون / التمثيل عن سبق إصرار بكل العنف في إنني حقيقة أعاني أرهاصا رهيبا نتاج هذا الإشكال .. كيف أكون دون أن أصطدم بأحد أو أتبر رجّة من أي نوع ؟ .. كيف والفرد متّا مشدود إلى مجموعة يتعايش معها ؟ .. إلى أي مدى يمكن الإبحار في الطيّب وهذا الطين يزحف .. طموحي أن أعيش في توازن وأن أوصل نزيّف قلبي حتى نهايتي .. يدايتي في الضمائر.

9) ليس من السهل تعرية خطوات أبطال تصصك .. لماذا كلّ هذا التخلي ؟

\* لكلّ قراءته الخاصة للتمنّ ومفاتيحه لولوج الحدث وتفاصيله وأنا لا أعتدّ التخلي أسلوبا، بل أنساق مع الحدث / الفكرة بكلّ دراية بالخفايا لأخمن لقارئني سفرا ممّعا / مضمّنيا .. نعم أقول مضمّنيا .. فمّا أخطر الخطوة إليه .. عليه أن يقوم بذات الخطوة وأكثر تجاهي أو بالأحرى تجاه نمي الذي يستفزّه .. يزرّقه .. إنني مصمّرة على إجهاد نفسي كتابة وعلى إجهاد القارئ صفرا .. من أجل قارئ أكثر وعيا بالتمنّ الأدبي ومراميّه.

10) تصصك غارقة في تفاصيل الحزن .. متعبة إلى حدّ الإزعاج لماذا ؟

\* لأنّ الحزن صديقي وأراه قوّة الدّفع عندي .. أيضا التعب شرعتي وأصبحت أراه الثوب الملازم لي أبدا .. وقد يكون مزعجا للبعض لكنني أراني به أكثر شفافية وتغانيا .. كما أنّ قلبي يستمدّ حبره من دمي المتعب / الحزين .. قصصي كذلك.

11) أبطال تصصك يعذبهم الحاضر فيجدون المائد في تفاصيل الماضي .. هل هو هروب ؟

\* نعم هو كما قلت هروب ولكن إلى الأمام رغم أنّ الظاهر يوحي بالهروب إلى الوراء .. إن كان في الماضي نقطة ضوء.. برغم تحتاجه وإن كانت في

الطفولة كلّ الأشياء الجميلة فلماذا لا نقطف الذي يفيد ونهرب إلى الأمام  
بمخزون متين أبطال قصصي أريد لهم الطفولة دتارا والماضي ذكرى ودرسا  
والآتي الفعل المسؤول .. لكن في أغلب الأحيان الحدث هو الذي يفرض تلاعب  
الآزمنة ..

## (12) وماذا فعلت مع النشر ؟

\* إنني أهاب النشر .. لا أستطيع أبدا طبع كتاب على نفقتي الخاصة .. لكنني  
حاولت.. لقد قدمت مخطوط كتاب .. مجموعة قصصية، بلجنة القراءات  
التي أحدثت بإدارة الآداب لتشجيع الناشئين مثلي وإنني أنتظر ولا أدري  
إلى أي مدى أنتظر.

## (13) ماذا تضيفين ؟

\* قلت لصديقي : - تعالى نعيش بأقلّ ذلّ ممكن وبقلب سليم ..  
قال : - إنّ انصاف الحلول والأشياء لا ترهقني ففتشني لي عن وطن لجنوني  
لا يزهق وجعي .. يزويني / لا يفتيتني صباحا .. مزوبا .. يوم العيد وكلّ  
حين.

قلت : الغريب للغريب دواء / إيواء فتعالى صديقي نسكن بعضنا حيا  
شعبيا بقلب واحد.

قال : إنّك بعد طفلة حاملة

قلت : لو امتدّ فينا الشتاء أكثر ممّا كان لأصبنا بأنفلونزا مزمنة  
.. صديقي دترك جيّدا بي وأفرش لي الشمس مهادا.

## (14) أريد المزيد .. إنني عطشى كزهرة الصبّار ..

\* .. أحتاجكم .. والوطن يحتاجنا جميعا.

حاورتها - أماني الغربي -

## لحظات حيرة

شعر : السعيد المنصوري

الآن !

والريـح تعصف بأشـرعتي وأجنحتي  
سأبـوح للغـمام بـسرِّ عمري  
حتى أفهم ما قالت الأمطار للربيع الآتي  
وما قالت حماتي للخطاف حين وقع في شبـاك  
أحـبياتها المطرزة بألوان مناساتي...  
سأنسج للضماند جراحا وللمساءات  
ترانيم أمري، وتلاحين حياتي  
ولكن لست أدري !  
هل يبارك النورس جهدي  
أم أكون مثلما كنت للوحدي  
أحلب معزاتي في قدح مثقوب  
وأزرع الحنطة في الرمل  
كما كان أبي يفعل وكما كان جدِّي  
لست أدري .... !

والآن !

كيف بدون حنطتها أكون ؟  
والمفردات العاريات تعربد بين فيها وأذني  
كيف تكون بدون صممتي  
وعصافير الكلام فرخت في راحتي  
لست أدري !  
أهذا مساء بشير للمساءات نذير ؟  
أم بشير لخطاف عشش في قدمي  
إنه يغتال حلما أعادني للياسمين  
بعد أن كنت أسيرا لفضاء العنكبوت  
بين أجنحة الذباب أبحث عن والذي ...



## كذلك كنت الغريق

شعر : عبد الحميد البراري

حينَ أنظرُ في عينيكَ  
وأرحلُ في مقلتيكَ  
إغمضيتها جفونكَ خلفي ...  
.. خبئيني ...  
فإنني ملأتُ الضياع ..  
دعي حاجبيكَ  
واحةً حبٍ تُظللُنِي  
فقد أرهقتني .. مسافاتُ ذاكَ السَّفرِ ..  
.. جذب ..

فإنني تعبْتُ .. حُفِرَ ..  
وأرهقتني طولُ ذاكَ الطَّريقِ ...  
دعيني أعانقُ آياتَ ربِّي  
طيورُ تفر ..  
ورائحةُ البشَرِ ..  
ففي وجنتيكِ ورودُ الرَّبيعِ  
في شفتيكِ جمالُ العقيقِ  
وتلكَ العيونُ التي أسرتني  
كما يأسرُ البحرُ كلَّ غريقٍ ...  
... قضائي ... وروعةُ القدرِ ...  
فمدي لي راحتك  
وطني إليك الحريقُ  
فإنني احترقتُ وحيداً  
كذلكَ كنتُ الغريقُ ..

.. ظلام ..  
وليلٌ بدونَ قمر ..  
غريبٌ .. كلحنٍ بدونَ وتر ..  
.. تعبْتُ .. فمدي لي راحتك  
كما الأرضُ عانقتُ قطراتِ المطرِ  
تعبْتُ .. فمدي لي راحتك  
أنا الآنُ طفلٌ بريء ..  
تهاوَى  
ليسقطَ بينَ يديكَ ..

سليانة في : 24 ماي 1991

فلا تتركيني ..  
دعيني أنامَ على راحتك

## غربة الشعر

شعر : عمر العبيدي

حصار 1 :

كيف يزهو الطير مكسور الجناح ؟  
راقه التفريد في لبّ الفضاء ..  
قد هفا ثم تَلَقَّتْهُ الرِّيحُ ،  
أوقعت من علاه للثرى  
يائسا بين الورى يشكو الجراح ...  
\* \* \*

مثله الشاعر يرنو للصباح  
بين قوم حجبوا حتّى السنا ..  
يوقد النور فتدرواه الرِّيحُ  
وتُشيد للظلام سكنا ...  
سيظل الشعر موزوناً لنواج  
ويظلّ قدر الفنّ الفناء ...  
طالما الأرض تدور ..  
وفق أهواء الرِّيح ...

حصار 2 :

شاعر شاعرة  
تهامسا ..  
تلامسا ..  
تعانقا ، واتفقا  
على لقاء بين ظلال القصيد ...  
... في الصُّباح ، قاما باكرا ...  
فتحا النوافذ  
وجدوا القصيد ..  
محاصرا ...

# آخر كلام

سامضي ،  
سأكون الماضي  
كما شئت  
لتكوني الحاضر  
كما انت  
يزهر الورد على وجنتيك  
ويستشهد الدهر على قسماتي  
سامضي ،  
هنا ، عشق الحياة  
يغتالني صمتي  
تقبرني امنياتي  
في شئى الالهات  
وتتعانق أحلامي  
على جسر الكلمات  
سامضي ،  
لاكون هناك  
ذات صباح ...  
في التاريخ كتابا  
وتكونين حبرا على صفحاتي

الهادي العبدلي - سليمان

## «مانديلاً»

وتستمر المسرحية... للعرض المليون تستمر  
هناك. هناك  
في آخر حدود إفريقيا  
توجد القضية  
ومناجم الذهب... ركحاً للمسرحية  
صرخت السواعد... مانديلاً  
صرخت الصُحراء... مانديلاً  
ويمرّ عام. للمرة المليون يمرّ  
«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»  
القلادة الذهبية  
القلادة الذهبية  
تلهب نيران... النازية  
رجل «بوتا» جاء «بوتا»  
والعرض يستمر  
هناك... هناك  
في آخر حدود إفريقيا  
توجد القضية  
ورجل القضية  
ومفتاح القضية  
إنه مانديلاً التاريخ  
ومانديلاً رافض فصول...  
المسرحية...

محمد الطاهر النهدي  
بوعرادة

## عائشة

بقلم الأستاذ : مختار فَم

فتحت عائشة في صباح يوم بارد من أيام الشتاء عينيها على صوت أمها التي كانت تناديهما لتعدّ فطور أبيها قبل خروجه إلى الحقل. حاولت أن تتغاضى عن مناداة أمها لكن أمام إلحاحها لم تجد بداً من النهوض فقامت قاصدة المورد بعد أن حملت جرّتها لتجلب الماء. وبينما هي في طريقها إذ سمعت أصواتاً مهلّة فوقفت تتبيّن مصدر ذلك وتيقّنت أخيراً أنّه ينبعث من بيت سعيد - لعلّ نعيمة انجبت مولوداً جديداً - واصلت عائشة طريقها وما إن وصلت المورد حتّى وجدت نساء الجيران قد سبقنها فكانت التّحية ثمّ جلست تترقّب دورها مجاذبة إيّاهنّ أطراف الحديث الذي كان يدور حول عودة ابن سعيد بعد غيبة طويلة إمتدت سنوات ثلاث قضّاها في طلب العلم في باريس.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وملات عائشة جرّتها وعادت إلى البيت ثمّ شرعت في إعداد فطور الصّباح بعد أن أيقظت إخوتها للتّهيّء للذهاب إلى المدرسة.

انقطعت عائشة عن الدّراسة وفي قلبها لهفة لمواصلتها مع أحلام وآمال وسارة وأيمن لكن حالة العائلة أجبرتها على البقاء في البيت ثمّ إعانة والديها في الحقل وقد تذكّرت تلك الأيام التي مرّت وهي تمرح مع ثالوثها في زهابهم وإيّاهم إلى المدرسة وتذكّرت تلك الألعاب التي كانوا يقومون بها والنّاتجة من أحلام كانت تراودهم وهم صغار لكنّها حاولت أن تنسى ذلك بعلّة صغر السنّ.

وخرجت يومها إلى الحقل مع والديها وبقيت كامل اليوم وهي شاردة البال غير مبالية بما لديها من عمل وخاصّة في وضع الثّمار عندما تناقل أهل الأولى أحلاما والثّانية آمالا وحتما سيكون أيمن أوّل الموافقين على ذلك

القرية أخبار أيمن الذي عاد نهائياً إلى مسقط رأسه وقد نجح في دراسته وتحصل على شهادة تخول له الدخول إلى عالم الهندسة، فقد كان تربها، لقد ترافقا خمس سنوات كاملة لقد تزوجت أحلام بعد أن أجبرها أبوها على قبول خمس سنوات زوجها لها وماتت آمال وهي في العقد الثاني من عمرها، لكن عائشة مازالت تحي بين الغاب والمورد والبيت فهي ليست أيمن ولا آمال ولا أحلام، هي عائشة المسكينة التي حكمت عليها الأقدار بأن تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها في بيت فقير تحت رعاية أبوين يطمعان في إعانة صغير، قد تجاوزت عائشة سن الزواج دون أن تلامس يدها يد شاب جاء ليطلبها فهي لم تعرف يوماً شاباً من الجيران ذلك أن الحال لم يتيسر لها لتشارك شباب الحي حياتهم فهي لم تعرف سوى أحلام وآمال وأيمن.

وعادت عائشة في المساء إلى بيتها دون أن تدري كم جمعت يومها من زيتون لتحصل على أجرها فقد تركت مهمة الكيل لوالدها.

وأجتمعت العائلة كعادتها في كل ليلة تتجاذب أطراف الحديث حول أحوال أهل القرية وما طرأ عليهم من تغيرات خلال عقدين من الزمن فقد رزق سهل أبناء بفضلهم تغلب على مصاعب الحقل واستطاعت الحاجة فضيلة بفضل حنكته توفير السعادة لزوجها المريض ولوحيدها الصغير دون أن ينسوا أيمن وما يمكن أن تكون عليه حياته وحياة سعيد ذلك الرجل الذي كابد المصاعب من أجل صغيره.

وبين أيمن وفضيلة وسهل وسعيد تلاشت أفكار عائشة التي لم تنطق ليلتها ببنت شفة :

- أيمن مهندس، أحلام أم، آمال تحدث الحياة فكيف ستكون خاتمتي ؟

لقد أدارت لي الحياة ظهرها وكشرت لي الأقدار عن أنيابها فحرمتمني الحياة إلا في ظل ثلاث نعجات وبقرتين لكن ها هي العرافة زفت لي بشرى عظيمة فقد طلب أيمن يدي - لعله تذكر تلك الأيام الماضية وتلك الألعاب التي كنا نصنعها ونحن صغار لقد كبرت معه وأصبحت حقيقة، لعله بقي وفياً لعهد الصبا فلما لا أكون أنا أيضاً وفيّة لذلك العهد : سأسمي ابنتي

وسأسمي ابني سعيدا متى أحفظ به اسم ذلك الرجل الذي أنجب وفيّ لم تلعب به يد الغدر ..

سأجازي أيمن على صنيعه، على وفائه، سأجازي أحلاما وأمالا على أعمالهما الحاملة وهما صغار فكم مرة أراودني حبيبة أيمن، لكن ها هو اليوم يصبح كلّ ذلك حقيقة بعد أن حافظ عليه أيمن وكتبه بأحرف بيضاء في سجل قلبه.

كيف سأستقبل أيمن يوم غد، كيف سيكون شعوري وأنا أرى أحلام صغرى تتحقق، طبعاً سأضع قبلة على قلبه قبل أن أجعلها على خده، أه ما أحلى الحياة لمسكينة أصبحت بين أحضان حبيب، مهابة في القرية، كيف ستكون نظرة فتيات جبلي إليّ؟ حتما ستكون ملأى بالحدق والمغينة لكن سأعلن فوزي بذلك أمام أعينهم وبين أحضان الطبيعة، سأغادر الرّيف وسأكون مدنية أنعم بالراحة أتمتع بنشوة الصّبر.

لقد اقترب شبح أيمن من بيتنا، ها هو قادم إلى جانب والدته لزيارتي، سأخصّص لنا مجلساً خاصاً حتى أشرح له صدري، لقد رحّب به أبي وأمي، لقد قابلوه بالحفاوة والترحاب، وسأستقبله بالقبلة حينما يجلس. حبيبي أيمن ها هي الأيام شأت جمعنا من جديد بعد أن فرقتنا سنين طويلة، فقد جعلت الأحلام حقيقة والآمال مستقبلاً فلماذا لا نجتمع شملنا من جديد ونعيد تاريخاً مضى بعد أن أسكن قلبك وتأخذ روحي وبذلك نعيد إلى أنفسنا آمالاً وأحلاماً. فكيف سيكون ذلك يا حبيبي؟ هل فكرت فيه يوماً مثلي كما فكرت في جعلي شريكة حياتك؟ فقد اخترت أوكّل الطّريق بوضع قبلة على صدرك، وبينما هي تتأهّب لوضع شفتيها على صدر حبيبها إذ بصوت ينبعث منادياً :

عايشة ! عايشة !! الشّمس أشرقت منذ زمن بعيد.

## الجانِب الاسطورة في الطبّ الشعبي



- استطلاع موقعي -

بقلم : مبروك الوسلاطي

مدخل :

الاسطورة في الطبّ الشعبي فسحة للبحث ليس بالهين إحاطة القارئ علما بكل جوانبها مهما جدّ في أثرها. فلكلّ جهة نمطها الخاص في التعامل مع الأعشاب الطّبية من حيث طرق الإستعمال - وهذا ليس من مشغولات بحثنا بقطع النّظر عمّا اقتضته ضرورة التّوضيح - ومن حيث ما تنسجه المخيّلات الشعبيّة من مصلّمات راسخة تبرّر المعتقد في جدواه وتضفي عليه بعدا قدسياً ينسب عادة إلى ميدان الأساطير الشعبيّة المتوارثة وذلك لخلوّه من المرجعيّة الواضحة وبطلانه السريع عند اخضاعه إلى أيّ سؤال منهجي مصدره الشكّ. ويلتمس ذلك بالأساس من خلال استجواب بعض المواطنين أثبت أنّه لا يجب أن تقول «لماذا». وإن قلّتها تكون الإجابة إمّا الرّفص القاطع أو الصّمت الغوري.

وقد اخترنا ثلاثة مصادر تعاملنا معها بالصورة الشمسيّة وما يحتفظ به الشيوخ من معلومات حولها ورغم الشعبيّة الواسعة التي تحظى بها هذه النّماذج فإنّ المعلومات المتوفّرة قليلة لكنّها لا تخلو من طرافة.

I - موانئ في طريق البحث :

مهمّة الباحث في المناطق الجبلية النّائية تكاد تكون مستحيلة. وفي  
1 - رِيحانة الحَيَاة :



مهمتنا كان من الضروري تذييل أربع عقبات :

1 - تكثر الأساطير الشعبيّة في مجال التداعي في الأوساط الجبليّة النائيّة حيث تندر مرافق الإنفتاح على علوم العصر (وسائل النقل، حملات الإرشاد ... الخ)

2 - تكاثف حركة النّزوح بحيث تنعزل الأساطير حتّى تتلاشى.

3 - جهل الشباب المتعلّم بأسرار هذه المعتقدات وأعراضهم عنها.

4 - صعوبة الحصول على المعلومات واعتقاد المسنين في قدسيّتها ووجوب حفظها كحرم ديني يُعتقد ولا ينتقد.

ولذلك نسلّم منذ البداية بأنّ ما نقدّمه ليس إلّا نبذة بسيطة تغري بالإطلاع العميق وتعجز عن بلوغه رغم اجتهادنا وقطعنا أكثر من 8 كلم سيرا بين الجبال والأودية. (1)

ARCHIVE

II - الإنسان والطبيعة : الإتصال

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إذا كان الوعي بالظواهر الطبيعيّة جعل الإنسان يتّخذ من العلم أداة اتّصاله بهذه الظواهر اليوم. فإنّه كان في الماضي يكتفي بمعايشة الطبيعة في تغييراتها بشيء من اللامبالاة حتّى إذا شذت عن قواعدها المتكرّرة اضطرّ إلى أسطرة تلك الحالة من التفرّد حفاظا على اتّصاله بها واستقراره في حضنها ... وفي هذا السّياق اهتممنا بريحانة الحياة (التّسمية من اختيارنا).

---

1 - من الضروري أن نلجّ على عدم جواز تحديد المواقع بدقّة أو التّصريح بأسماء المستجوبين حتّى لا نخرج أحدا. لكنّنا نشير إلى أنّ مواقع التصوير كانت في المنطقة الجبليّة الفاصلة بين مكّثر وسليانة بتاريخ 1991/10/27.

## 1 - ريحانة الحياة :

هي شجرة تنبت في سفح جبليّ وعُمر هي الوحيدة في المنطقة بين أشجار «الخروب، والكشريد ...» من فصيلة الحبق الريحاني (-*Vrimum basti* acum تنمر حبوبا في حجم حبة الحمص آخر الخريف. طعمها مزيج من العفوصة والمرارة، لا ترتفع كثيرا عن الأرض وتحفظ بوريقاتها الخضراء طيلة السنة.

تعتبر هذه الرّيحانة وليّة صالحة في المنظور الشعبي. ويرى البعض الآخر أنّ وليّاً من أولياء الله جلبها خصيصا لتكون شفاء للنّاس ... ولعلّ أطرف ما صرح به المستجوبون، هو أنّ الميّت توضع في قبره بعض أغصان الريحان ساعة دفنه، وهي كفيلة بأن تجلب إليه المغفرة من الله ... وقد جلبت انتباهنا مزق متعددة من الثياب تتدلّى بين أغصان هذه الرّيحانة بألوان شتّى ! وقد كان ملخص الأجوبة المتعدّدة ما يلي : «لما كانت وريقات الرّيحان تستعمل للعلاج كان من الضروري أن يترك كلّ من يحتاج إليها



الريحانة : صورة التقطت  
على بعد 200 متر



عملية تفحص قطع  
القماش المعلقة

شيئا من ثيابه اعترافا بالجميل وأرضاءً للولي (صاحب النعمة). وما زالت هذه الريحانة قبله العشرات من الزوكر إلى اليوم. إذ من الملاحظ أن قطع القماش بعضها حديث العهد وبعضها الآخر ترهل تماما من جراء تعاقب الفصول (أمطار حرارة) وقدمها. ومن أبرز الطقوس التي تبيّن الصلّة الوثيقة بين هذه الشجرة ومن يؤمنون بمنافعها، ما علمناه ولم يثبتته الاستطلاع : يقال أن الحريف القار أي المتعامل باستمرار مع أغصانها للتداوي مطالب بتضميغ الغصن بالحناء بعد قطع جزء منه. لكننا رغم التفتيش الدقيق لم نعثر على آثار الحناء، ولعل ذلك من جراء تهامل الأمطار بغزارة كما يرى أحد المستجوبين، ومن حسن الحظ أن عملية التصوير تمت دون حضور أي معتقد وإلا لأضطررنا إلى تمزيق شيئا من ثيابنا.

والغريب حقاً أننا حاولنا الوقوف على حقيقة الريحان في الطب القديم فاكشفنا أنه من الأعشاب ذات الدور الثانوي في استحضار الأدوية، إذ لا يستعمل إلا للمعضضة لوقاية اللّهاء من بعض الأوجاع الناتجة عادة عن تعفن جلب تلك الصخرة من أعلى قمم الجبال للحد من قوة انحدار الماء الذي لا

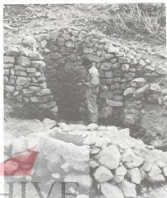
الثقة، (انظر : ابن الجزار / زاد المسافر ص 168 ط. الدار العربية للكتاب).

## 2 - بثر الشفاء: (بثر لعقو)

هي بثر متوسطة العمق (6 أمتار تقريبا) تقع في عمق وهدة تفصل بين سفحين وعرين، سيّنة البناء، غزيرة النبع بحيث أصبحت مياهها الفائضة تنحدر خارجها، مشكلة خطرا كبيرا فهي في متناول كل الكائنات الحيّة بما في ذلك العشرات (بدون غطاء) نسبة الأملاح مرتفعة يمكن تذوقها من أول جرعة.

الأسطورة الحاكة حول البثر على درجة كبيرة من السذاجة مفادها أن حاجا عاد من مكّة ومعه أنية فيها كمّية من ماء زمزم (بثر زمزم) سكبها في بثرنا هذا، بعد أن ارتوى من ماءه، ومن يومها أصبح دواء "ناجعا" يشفي من مرض الكلب - عافاكم الله - ويؤكد المستجوبون أن بعضهم جرّبه فنفعه ! وذكرنا لنا أسماء بعض من قهرروا فيروس الكلب بالماء لكنهم - للأسف - في دمة الله جميعا. فلاحظنا أن ذلك من الوسائل التي يلجأ إليها المستجوب للتعجيز ووقاية ليقينه الثابت من الخلقة.

ومهما يكن من أمر فإنَّ شهرة هذا المعلم بدأت تتقلَّص اليوم بشكل ملموس أمام حملات التلقيح في الأرياف خاصة تلقيح الحيوانات. ممَّا جعل حالات الإصابة بهذا الداء شبه منعدمة. فانهصر دور البئر في حدود الوقاية، إذ مازال البعض يجلب ماءه في الصيف مرَّة أو أكثر لوقاية الكلاب.



البئر الأسطوري /

حفيد زهرم

ARCHIVE

3 - صخرة حنين <http://Archivebeta.Sakhrat.co>

النموذج الثالث صخرة عظيمة مستقرَّة في وادٍ تسيل مياهه على بعد متر منها، وتثبت نوعية الأحجار الباقية في المرتفع المحاذي لموقعها إنَّها



صخرة حنين :

وتظهر بعض النباتات

يسار الباحث

تدحرجت نتيجة زلزال أو تساقطات غزيرة أفقدتها توازنها فحطّتها من عل، إلا أنَّ للمستجوب تفسير آخر مفاده : أنَّ حنيننا هذا كان عملاقاً جباً جلب تلك الصخرة من أعلى قمم الجبال للحدّ من قوّة انحدار الماء الذي لا يمكن للحوانات أن ترتوي إلاّ بالتخفيف من حدّة جريانه ... ولمّا وضع الصخرة تشقّقت ونمت بين تلك الشقوق نبتة من كلّ أصناف النباتات الموجودة في الجبل، إلاّ أنّها تمتاز بما يجعلها أدوية نافعة للأمراض التي تصيب الأطفال.

ونحن لا ننكر وجود هذه النباتات على سطح الصخرة وجوانبها (انظر الصورة) لكن من أين للمخيّلة الشعبيّة بهذا الإسم القديم الذي نجده في نواذر العرب قديماً (حكاية خفي حنين)، خاصّة وأنّه غير معهود في تسمياتنا القديمة والحديثة ربّما في تونس عامّة ؟ وتتكاثف في هذا المضمار عدّة أسئلة :

- ما علاقة حنين بدواء الأطفال ؟ فإن كانت هبة من السّماء فلماذا توهب إلى الصخرة ولا تمطى لحاملها ؟  
- لماذا لا تنفع إلاّ السّفار بون الكبار ... ؟؟ الخ.

الإستفهامات متعدّدة لكن القارئ يعلم منذ البداية أن «لماذا» ممنوعة تماماً أثناء الإستجواب !

وخلاصة القول أنّ المعطى الأسطوري في الطبّ الشعبي هو وليد ضرورة اتّصال الإنسان بالطّبيعة، ومعايشتها معايشة تبريرية أو إن صحّ التّعبير موازاة حركتها دون معارضة، فهو بصفتها منتفعا ملزم بهذا التّرابط الذي نسعى اتّصالا، فالأسطورة في مجال بحثنا تتجاوز حدود التّفسير البدائي لتصل إلى الإشباع النفساني الذي يحتاجه القاطن في هذه الفلوات المنعزلة عن حركة التّطوّر الشّامل حيث المرافق والإجتماع، فبقدر امتلاء الذاكرة الشعبيّة بالأوبئة والمجاعات تكون ممثلة بالأساطير الطريفة. وهذا جزء من كلّ إذا اعتبرنا الأسطورة عموما بحث الإنسان عن خوارق تقيه شرّاً محتملا.

رأينا سابقاً أنّ من عوائق البحث قلة السكّان في هذه المناطق، وحركة النزوح المستمرة في المنطقة تدفع هذه المناطق إلى ظلمة الخلاء التّام، ولعلّ أبشع ما سجلنا في المخيلة مناظر الدّور المقفلة والأراضي المهملّة ... ذهب الفكر الأسطوري وبقيت الأساطير !! انفصلت المخيلة المؤسّطرة عن أمسها لتؤسّطر غدها بعيداً عن قمم الجبال، لأنّ أصعب ما يعاني منه النّازح من مثل هذه الأماكن إلى المدينة هو كيفية التخلّي عمّا شحنت به ذاكرته من تراث ريفي، وبذلك تنتفي المزيّة المرجوة من الهروب من ادغال النقائص إلى مدن الأنوار ألا وهي التحضر الذي هو في حقيقة الأمر احتضار ما لم يرتكز على أسس ثقافيّة ثابتة.

#### \* خاتمة :

ننهي هذا العمل الموجز ونحن نحس ما قد يحسّه القارئ من تعطّش إلى خفايا هذه الأساطير، وضرورة التوسّع أكثر في تناولها، وقد تعمدنا إلغاء عنصر ختامي كنّا خصصناه للنقاش لنفسح المجال للقارئ حتّى يشارك بذلك، والفينا التّعنق في تعداد منافع هذه النّبئات من منظورها الإسطوري درأ لإشهار ما يتنافى تماماً مع التطوّر العلمي في بلادنا خاصّة في مجال التداوي، ونحن بطبيعة عملنا في الأرياف نجتهد من أجل إيصال الخدمات الصحيّة إلى أبعد المواقع وأنثأها، أضف إلى ذلك أنّ القارئ يهتمّ عادة بالحدث أكثر من كيفية حدوثه.

نتوجّه بالشكر الجزيل إلى كلّ من ساعدنا على اتمام هذا الإستطلاع بالضيفة الكريمة والجواب التلقائي والإرشادات النّافعة.

سليانة في 91/10/27

## مع الأقلام الواعدة

بإشراف الأستاذ :

عبد المجيد زين العابدين

إنّ بعض الأدباء الثّائسين المتلمّسين دربهم إلى الظهور والتميّز يسترعى انتباهك منهم دأبهم على مشاركاتهم بانتاجاتهم في مجلّتهم المعهودة : «الإتحاف». قد تكون لبعض هؤلاء عدّة مؤشرات إيجابيّة في البداية إلّا أنّها تبدو غير كافية لتنصيع حضورهم من بين زملائهم وأندادهم والكشف عن قدراتهم ومواهبهم الأدبيّة شعريّة كانت أم نثريّة، إلّا أنّ قارئ أعمالهم المتساقطة يشعر بصورة متأثيّة ويقوى فيه هذا الشعور بأنّ مستوياتهم في تحسّن مطّرد ومواهبهم في سبيلها إلى الصقل وإمكاناتهم وطاقاتهم الأدبيّة والفكريّة واللّغويّة في نموّ وازدياد. ذلك أنّ ميدان الفكر والأدب ميدان شاسع بلا حدود وقد ينقلب إلى مباحة لبعضهم، وهذا ما يجعل بعضهم لا يدوم ألّهم فيه واستمرارهم عليه. فهو يتطلب جهادا وتضحية ومثابرة وعملًا دؤوبًا لا يدري فيه معنى للكلل أو الملل.

لا يسعني أمام هذا إلّا أن أتمثّل ما قاله حكيم الشعراء حول فوائد العزم الغولاني ومعاني الصمود وتحديات الإنسان للعقبات وما ينتج عن ذلك من انتصارات وتيسير لسبل الحياة :

«على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم».

إنّني أذكر بكل اعتزاز أحد أصدقاء الإتحاف تجسّمت فيه هذه الصفات أو قل إنّّه كان وفيًا لأغلبها، فقد اتسم بالمثابرة على مراسلتنا واستطاب ممارسة الأعمال الأدبيّة، وفي كلّ أثر يقدمه نجد له فيه ميزة جديدة وتطورًا واضحًا.

هذا الأديب الصاعد لمجلّته «الإتحاف» والمثابر على النشر بها هو الشاب

رابع المجبري من القيروان أصيل قرية الصوابية، وإنِّي أرى شخصياً أنَّ له مستقبلًا أدبيًّا مشرقًا ولا يسع أسرة الإتحاف إلا تشجيعه على المضيَّ قداما كما أنَّها تهيب به أن ينكبَّ على قراءة الآثار العربية والعالمية الجيدة ومطالعتها حتَّى تكبر موهبته وتتأكد مع الأيام. وهي ترجو أن يقتفي آثاره أحباء الإتحاف من النجوم الصاعدة

\* إلى الطالب الصحفي السَّباعي أصيل حاجب العيون  
يسعدني أن أرحب بك صديقًا جديدًا لمجلة الإتحاف وأن أنتسّم من وراء هذا العمل الأدبي المهور بعنوان : «رحلت نسمات الربيع». موهبة أدبيّة في طريقها إلى الظهور. لقد قرأت لك هذه الخواطر واسترعت أهتمامي مضمونها وديباجة، فقد كانت معانيها تنبض شاعرية فياضة وإحساسات مرهفة دقيقة وما يزيد في حسنها أنَّك تتخذ من الطبيعة متكأ تعود إليه لتستوحي منها أفكارك وأحاسيسك وأخيلتك، إلا أنَّ اللّغة فيها ولنن استقامت في جلّ فقراتها لم تخلُ من هنات نحويّة أو تعبيرية أو غيرها. إنِّي واثق أيّها الصديق أنَّك إذا ارتسخت فيك هذه النزعة إلى مثل هذه الكتابة الشعرية النثرية، صفت لفتك واتّضحت تعابيرك واتسمت بسمات البلاغة والدقّة والجزالة. إنَّ كتابتك هذه تميّز بإشراق واضحة ولا داعي إذن لأن تنعتها بـ «الكلمات المشوَّمة» أو أن تكون غير واثق في مستواها الذي لا يخلو من طراقة وجودة. نسرد لك هذه الخواطر كاملة بعد إصلاحها وتنقيحها وننتظر منك المزيد.

- رحلت نسمات الربيع -

بدا على الكرة الأرضية العياء والتعب وأحست بالثقل فبدأت تتعلم ثم بدأت أنفاسها تضيق وتختنق شيئا فشيئا فضجّت وصخبّت وأخذ سميرها في التاجج واللّهيب. ظهرت ملامح العذاب والألم على وجه الأرض وطال مخاضها المريع. أغدقتها الشمس عرقا فبدت كأنّها محموعة، شعرت لذلك وثارَت كما تضطرب الأنفاس عند سكرات الموت. إنَّها الولادة والولادة دائما عسيرة. ففي الولادة عذاب وفي الموت عذاب. أن يشتهي المرء عذاب، وعذاب ألا يشتهي.



فكيف إذا بولادة الأرض فسيكون مخاضها أشدَّ عذاباً من كل الولادات العادية.

اتسعت فوهات براكين العالم، وتآججت نيرانها، وعريدت الأرض تنبؤ بزلزل عظيمة. ثم أخذت بعد ذلك تختمر في رقصات صوفية متذرمة إلى الآلهة أن تيسر ولادتها.

ثم لم تلبث حتى زادت في سرمة دورانها مما أصاب المحيطات بدوار عظيم، فأزبدت البحار وهاجت وماجت الأمواج العاتية لتكسر صخور الحقيقة.

هاهي الغلاة كذلك تعلن ثورتها وغضبها وتهيج أعاصيرها الهوجاء لتعصف بكل المفاهيم فتبددها.

كأنني بنظام العالم قد اختل لمخاض الأرض العجيب ولهذا المولود الغريب الذي لم يولد بعد.

ساد الكون غموض مبهم وتحلحل نسيج الوجود بعد أن تاهت كل النواميس.

فالسَّماء تعطر ثلجاً وعجراً ودماءً وإذا ناعما في أن واحد، وباتت الريح نسيماً وهجيراً وسراباً. فأصبح كل شيء يحن إلى كل شيء. وكان العالم يريد أن يشكل كلاً معاً، فيحن الشروق إلى الغروب ويمتزج الليل بالنهار والشمس بالقمر، ويسمى الماء حيناً إلى ابتلاع اليابسة وتود الأرض أن تشربه لتطفئ ظمأها لما تلاقيه من قحط الولادة وجذب الألم.

تتجمع الفصول وتتحد المناخات لتشكل سننوفنية طبيعية هستيرية الجنون. وتتوق الأمكنة والاتجاهات إلى بعضها.

تتجعد كل المحيطات وتحرك الرمال الناعمة إلى متفجرات نبات الأرض إلى أشواك، ثم سرعان ما تندثر الجبال، وتنزل السماء لتستر الأرض فأجلها قد حان.

يتيه الوجود في العدم ويذوب كل شيء في متاهة لا معنى لها في الحياة، فتصدع الحقائق في أودية الكون.

يخيم على العالم ضباب كثيف يحيله إلى ما بين السواد والبياض،  
تشدد الإرهاصات في باطن الأرض ويتخبط المولود في رحمها فتصعق  
صعقة الغناء وتصرخ صرخة البدء.

إنها لحظة الولادة بعد أن فقد الألم والعناء كل معاني العذاب.  
بدا نورٌ خافت على الأرض وبدأ الضباب المقيت ينجلي شيئاً فشيئاً.  
خلته نور الفجر أو نور النور الجديد الذي كاد أن يذهب ببصري.  
وإذا به شفق الغسق يكشف عن رحلة الربيع في لحظة الأولى وقد  
اكتسى جمالا سرمدياً.

ولد الربيع فانحنت له الشمس في غروبها تقديساً لجلاله. تمازجت ألوان  
أقحوانه، ودوار شمس مع انعكاس الشفق الأحمر فشكلت بذلك أبداع صورة  
للخلق يعجز عن وصفها عالم الألوان.

وهب نسيم الصبا ليداعب الزهور حين ولادتهن فعالت في عناق تخجل  
أمامه فينوس إلهة الحب بعد أن أثقلتهم قطرات الندى التي بقيت عليهن  
من الضباب المقيت.

بدا لي هذا الخلق الربيعي كأبداع مخلوق تنجبه الطبيعة ولكنه كان في  
لحظة البصر.

فسرمان ما لفحتني ذلك التسييم على وجهي فتبينته هجير صيف  
مسموم ونفسا قد اختنق في حلق الأرض غزاد في حرقتي.

ساد سكون رهيب مع هذا الحر وكان شيئاً لم يتخاط، أو كأن الأرض قد  
أصابها دوار جنوني حتى فقدت خلاله الذاكرة وتناست مرحلة من فصولها.  
إنه لحادث أزلي فظيع تشكلت فيه الأرض من جديد، ولكنها قد لفظت فيه  
ربيعها حتى تجهض الأرض مولودها ؟؟

نعم لقد لفظتني الدنيا ومات في رحم أمي قبل أن أولد.

فرحلت نسمات ربيعي

اعشوشبي أيتها الحروف اعشوشبي

واخضوضري أيتها الكلمات اخضوضري

لقد رحلت نسمات الربيع قبل حلوله

رحلت نسمات الربيع

هـ . س

\* إلى الأديب الصديق المعهود لمجلة الإتحاف رابع مجبري  
 أصيل القيروان من قرية الصوابية  
 أرجو أن تكون "الإتحاف" قد أنصفتك فلقد احتضنت أعمالك الأدبية  
 الشعرية خاصة فيما أذكر أكثر من مرة وهي تؤكد ثققتها فيك أديبا شاعرا  
 وتتوسم أن يكون لك في قادم الأيام حضور متميز على الساحة الأدبية.  
 ننشر لك هذه المرة قصيدا عنوانه :

### ثوابت الأحلام في مرايا الظلام

وحيداً.. أطوي السُّهْرَ	أظُلُّ أنزُ عشقاً
مسافة جرح	
عنك.. أبحثُ	وَجَعاً...
أسائلُ اللّيل.. وحيداً	
يقولونُ ما أطول ليل العاشقِ	أنتظرُ حتّى أبطأتِ
ما أثقله عليه	ينبجسُ الوجعُ من
فما أحلاك ليلى	تحتي...
حينَ تطولُ	
ليمتدّ الحلم في تلافيف الذكرى	فأظُلُّ وحيداً ولا تأتي
وحين تساقطُ النّجمةُ فالأخرى	
أشربُ إلى ليل آخر	وأموْتُ وحيداً ولا تأتي
مزرعة للحلم - ليلى	
والوجع العاري يتوجّني	تُراني تجاوزتُ حدّي
أطرقُ بابك قلبي.. تَاك.. تَاك.. تَاك	
تَاك... بعدُ لم تأتِ	تُراني انهمرتُ
مساحة جرح.. أبحثُ عنك	
أنتظرُ أقول سوف تأتي	أتبعك أخفالك
أنتظرُ أقول ستأتي	
يمرُّ الوجعُ تلو الوجعِ	فهلّا نَزَعْتَ خمار الصّمتِ..
أخترقُ... أخترقُ	

م . د

\* إلى الأنسة ضحى الوسلاتي أصيلة سليانة.

لقد نشرت لك فيما مضى قطعة من أحد نصوصك الشعرية نالت استحسانني لما توفّرت عليه من فيض شاعرية ونقاوة لغة وجزالة عبارة واستقامتها. ها إنك هذه المرة تفاجئينني بعمل أدبي ثري أوردته في قالب خاطرة وهو لعمري يكشف عن موهبة ثانية كامنة في أعماقك تتجسّم في نزعة واضحة إلى معالجة مواضيع فلسفية. ففضية الوجود التي أثرتها بطريقتك الخاصة خاض عمارها العديد من المعكرين والفلاسفة.. والمعاصرين، بيد أن نزعتك إلى الكتابة في مثل هذه القضايا ذات المنحى الفلسفي تقتضي مني وبالحاج أن أدعوك إلى قراءة جادة لبعض أهم الآثار الأدبية والفكرية ومحاولة متواصلة في تفهم أساتذتك في مثل هذه المواد والاختصاصات والإنتصاح بنصائحهم والعمل بتوجيهاتهم وإحالاتهم حتى تتطوّر فيك هذه النزعة وتتحول إلى موهبة حقيقية تلمسها من خلال ما تعرضين علينا من الأعمال أيّتها الأدبية الصاعدة. أنشر لك بعد التنقيح والتهذيب فقرة من هذه الخاطرة المشحونة بالتساؤلات اخترت لها من العناوين: «تساؤلات عن أسرار وجودي».

هل أنا موجود حقاً؟ إن كنت كذلك فما هي مهمتي في الوجود؟ خلق الإنسان حائراً... قد باتت هداية أشياء سيره إلا أنّ حيرته تعود إليه بعد أن ظن أن سحبها انقشعت عن سماء حياته والتراكمات الضيائية التي كانت مخيعة على ساحته قد بددتها أنوار هدايته، فيتجدّد ثانية لإيادة هذه الحيرة.. قد يتسنى له إبعادها وإقصاؤها عن ساحته إلا أنها تتمرد عليه من جديد وتعاود زيارتها له ومساكنتها ظلال حياته رغم أنه يابأها وليس يرغب إلا في جفائها.

ض . و

## \* إلى الشاب عادل العبيدي أصيل مدينة سليانة

لقد بعثت أيها الصديق عادل إلى مجلتك "الاتحاف" أكثر من قصيدة وهذا دليل واضح على نزعة جلبة قوية فيك إلى قرض الشعر، بيد أن ما ألاحظه بدءاً أن سياقات أعمالك الشعرية التي أرسلت بها إلينا من الناحية الإيقاعية تنحصر في الأسجاع ليس إلا نصيحتي إليك أن تقرأ الشعر قديمه وحديثه. وأهلاً بك مجدداً في مجلتك "الاتحاف" صديقاً عزيزاً أنشر لك مقطعا عنوانه : « أنت يا شقراء »

---

لولاك يا شقراء ما ذابت نفسي

لولاك ما كان شقائي وبؤسي

أنت روحي أنت جليسي وكأسي

أنت حاضري وماضي من أمس وأمس

الشاب ع - ع سليانة

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

نختم هذه الحلقة مع الصديق الجديد لطفي بن صالح الذي بعث بلوحة تجمع بين النثر والشعر نقصر الآن على نشر بعض الأبيات ولنا معه موعد :

لك الصمت وهو ضعفي

لك العقل وهو ضعفي

الرفض لك ولي كرامتي

لي القلب ولك قسوة حظي

العقل خاير والقلب يُنتقي

لك الضجر ولي وحدتي

الكلام ليس لي ولك ودي

لك احسامي ولي عذابي

الموت لي ولك صمّتي